الكلمات الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم
والعاقبة للمتّقين والفلاح للمُتزكّين
باسم ربّ النبي الأمين ربّنا الملك الحق المبين

...-...

ملحوظة: المفروض أن يكون هذا الكتاب هو البرقيات السابعة، لكنّي أثناء مراجعة الكتب نبّهني الحق تعالى على غفلتي عن كتابة الكلمات الثامنة فاختلّ العدد فجعلت هذا الكتاب هو الكلمات الثامنة. لعل البعض ينتفع بهذه المعلومة في وقت ما ويتابع بعض الأمور المتسلسلة ويتنبّه لبعض الحوادث التي أذكرها عرضاً. لكن النمط العام لكتاباتي في هذه المتسلسلات لا يهمّ فيه معرفة المتقدّم والمتأخر. هذا ولندخل في صلب الكتاب بعون الله وتوفيقه.

...-...

البحث في الإلهيات والأخرويات هو بحث في حقائق النفس المطلقة. لذلك كل مقالة في الإلهيات والأخرويات عمّا قريب ستظهر آثارها في السلوك الأرضي والاجتماعي والسياسي بدرجة أو بأخرى. فالميتافيزيقا أصل والفيزيقا ظِل.

...

إعجاز القرءآن في قوّته لا في بلاغته. فإن البلاغة قد يختلف الناس في تقييمها وقد يجد بعضهم في القرءان إبهاماً وغموضاً وصعوبة حتى وهو عربي من المؤمنين فضلاً عن مَن سوى ذلك. لكن قوّته وهي حقيقته الروحية والكونية التي هذا القرءآن العربي ظلّ لها وتنزيل لشئ من معانيها في صورة لسان طبيعي، تلك الحقيقة هي التي يخلق الله بها الآثار المختلفة التي لا يشكّ مَن وقعت له بصدق القرءآن والنبي، كالإحياء والعلم والخشوع والكشف. قال الله {لو أنزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله}، فهذا القرءآن أي حقيقته لا صورته العربية، فإن صورته العربية التي في المصحف لو وضعناها على أصغر جبل لما تحرّكت منه حصوة فضلاً عن أن ينقلب من معدن إلى حيوان، ومن جامد إلى خاشع، ومن قاسٍ إلى متصدّق، ومن غافل إلى ذاكر لله، ومن النظر في نفسه إلى النظر إلى الله وخشيته تعالى. هذا هو القرءآن الذي له قوّة الإعجاز والذي لا يستطيع الجنّ والإنس الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ولو كان القرءآن هو فقط الصورة العربية، لما كان ثمّة حكمة معتبرة من الرحمن الرحيم أن لا ينزله إلا على شخص من الناس ويأمره بتبليغه للكل، فهذه فتنة بلا حكمة وبلاء بلا رحمة إن كان بالإمكان إيصال القرءآن لكل أحد مباشرة، فالله يرزق كل إنسان من الطبيعة ولا أقلّ أن معظم الناس يستطيعون كسب رزقهم من الطبيعة مباشرة وبأنفسهم، والقرءآن رزق من الملكوت كما أن الطعام رزق من الملك، فكما أن الله لم يجعل رزق الملك عند شخص ويأمر الجميع بأخذه منه حصراً بلا وجه حكيم يقتضي ذلك، كذلك لم يكن الله ليجعل رزق الملكوت عند شخص بلا حكمة ولا رحمة إن كان بالإمكان فتح الباب للكل. أمّا وقد عرفنا أن القرءآن بالحقيقة هو روح وموجود خاصّ وليس مجرّد صورة طبيعية لسانية، والأدلة على ذلك كثيرة، فحينها نفهم معنى {نزل به الروح الأمين على قلبك} لأنه لم يوجد غير قلبه يتحمّل ولديه استعداد قبول القرءآن. لذلك قال {الله

أعلم حيث يجعل رسالته}، فلو كانت الرسالة هي هذه الألفاظ العربية لأمكن جعلها عند الكل وها نحن نرى بأعيننا ملايين الأطفال والصبيان بل والأعاجم منهم يحفظون هذه الألفاظ العربية ولا يخرمون منها فتحة أو سكون فضلاً عن الحرف، فلو كان الرسول رسولاً بمجرّد تبليغ هذه الألفاظ العربية لجعل الله في الأرض ملايين الرسل من الأطفال فضلاً عن النساء والرجال، إذ يستطيع هؤلاء الأطفال تبليغ هذه الألفاظ العربية، بل لكان من الحكمة والمصلحة تعديد الرسل بهذه الطريقة من جهة لحفظ القرءآن ومن جهة لتخفيف البلاء بقبوله إذ يجد كل قوم منهم رسولاً ولعلّه يكون من عائلتهم ومن أحبابهم ومن يعرفونه معرفة مباشرة لا تحتاج إلى توسيط عشائر جاهلية ولا قبائل أعرابية ولا دفاتر تاريخية. الشواهد على هذا المعنى كثيرة وفي ما ذكرناه كفاية لمن كان من أهل الدراية وسبقت له من الله العناية.

المادّية التي طغت على فكر كثير جدّاً من الإسلاميين هي التي جعلتهم يبحثون عن الإعجاز في الألفاظ وتراكيبها والمعاني الذهنية وبلاغتها. خبث الأصل فخبث الفرع، وضعف العقل فضلّ القول. الرسالة أعظم مما يتخيّلون، والرسول أكبر وأهمّ مما يتوهمون، والذين جعلوا رسولنا كساعي البريد لا نقول لهم إلا {ألا ساء ما يحكمون}.

قراءة الرسول للقرءآن قراءة بالقوّة وبالقول، أمّا قراءة غير الرسول والولي الوارث لحال الرسول فهي قراءة بالقول فقط لذلك لا تنتج أثراً في النفس القابلة للإيمان ولا تتصرّف في القلب المريد وجه الله. لذلك قال الله {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون} فأرادوا حماية أتباعهم من التأثر بالقرءآن ولم يجدوا طريقاً إلا ذلك وحتى هذا الطريق لم يفلح في نهاية المطاف. ومن هنا شرف الذين ءامنوا مع الرسول على مَن ءامنوا بعد ذلك من الخلف، إذ الذين ءامنوا بسبب سماعهم القرءآن من الرسول بالقوّة والقول حصلت في قلوبهم تغيّرات لا يعرفها إلا مَن أثّرت فيه قوّة القرءآن الروحية وأشرق على نفوسهم بالنورانية. يشتغل أكثر الناس بالقول وينسون القوّة، كمن يريد الإنجاب عن طريق مداعبة ظلّ الزوج بدلاً من جسمه. الألفاظ ظلّ والروح أصل، فمن كان مجاهداً في الله فليطلب الروح ويسأل منه هذا الفتح.

...

ليس كل عدو للقرءآن عدو للمؤمنين، لكن كل عدو للقرءآن هو عدو لله. لذلك قال {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءآن...فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً...ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون}. فسمّاهم أعداء الله فقط. لكنّه ميّز في آيات أخرى بين عداوة الله وعداوة الرسول أو المؤمنين، كما في موسى "يأخذه عدوّ لي وعدوّ له"، وفي أخرى "عدوّي وعدوّكم"، وثالثة "عدوّ الله وعدوّكم". ففرق واضح في القرءآن بين عداوة الله وعداوة الرسول، وعداوة الله وعداوة المؤمنين. فالذي يرى كل عدوّ له هو عدوّ لله هو إمّا جاهل وإمّا مستكبر استكباراً شديداً مميتاً وهو الأرجح. لذلك قد يكون عدواً لله وهو مسالم لنا بيننا وبينه ميثاق سلام يجب علينا الاستقامة له بسببه وعلينا برّه والإقساط إليه والله يحبّ منّا ذلك البرّ والإقساط إليه في الدنيا. وطبعاً قد يكون عدوّاً لله وعدوّ لنا في آن واحد، فنعاديه لأنّه عدوّنا ونكل أمر عداوته لله إلى الله سبحانه. تعلّم هذا الفرق واعمل به.

...

فصل الجملة عن سياقها في الآية أو السورة أو القرءآن مدعاة للضلال حتماً.

خذ مثلاً هذه العبارة {اعملوا ما شئتم} فإنّها نصّ في إباحة عمل أي شئ، فلو أخذتها هكذا وحدها لضللت وأبطلت الشريعة والطريقة وصار الناس عبثاً والخلق لهواً ولعباً. لكن إن قرأتها في سياق آياتها ستفهم معنى الإباحة العملية هنا، الآية هكذا-سورة فصلت ٤٠-{إن الذين يلحدون في ءاياتنا لا يخفون علينا، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي ءامناً يوم القيامة، اعملوا ما شئتم، إنّه بما تعملون بصير}. إذن الكلام هنا عن عمل مخصوص هو العمل الديني، أي الإلحاد في آيات الله. فحيث أنّه لا إكراه في الدين، والله هو الذي يتولّى محاسبة الناس على أعمالهم الدينية، فالآية-على القاعدة- تترك الناس أحراراً ليعملوا ما شاؤوه في أمر الدين وحسابهم على الله تعالى وهو بصير بهم وأصل الحساب في الآخرة لذلك ذكر يوم القيامة. نعم، في أمر الدين لكل فرد العمل بما يشاء، كائناً ما كان عمله. (ملحوظة: تم الكفر بهذه الآية وغيرها من كتاب الله وصارت بلاد الإسلاميين هي واحدة من أكثر بلاد الله-خصوصاً اليوم-عملاً بالإكراه في الدين وعلى الدين وفي كل ما يتعلّق بالدين بل الإكراه صار كأنّه مقصور على أمر الدين حتى إنّه يُحتَمَل من الطغاة أكل الأخضر واليابس واللحم والدم ولا يُحتمَل منهم رأي في فروع فروع فروع الدين تحت طائلة العنف العام والفوضى العارمة والإبادة الشاملة. لكننا نتكلّم عن الدين كما نجده في القرءان، لا كما نجده عند مَن استحوذ عليهم الشيطان).

...

قالت: ما أسرار رقم سبعة بالقرآن؟ وبالكون؟ وبالحياة؟

قلت: لا أعرف شيئاً يستحق كتابته.

...

{وإن كانوا ليقولون. لو أن عندنا ذكراً من الأولين. لكنّا عباد الله المخلصين. فكفروا به فسوف يعلمون.}

هنا نجد النزعة السلفية في جوهرها وفي أسوأ عواقبها. يؤمنون بالماضي ويكفرون بالحاضر، يجعلون الماضي أعظم من الحاضر مطلق، يعتقدون بالحق المفقود وينكرون الحق المشهود. فالطريقة السلفية في التفكير هي "قبورية" بأصدق وأعمق ما تدلّ عليه هذه الكلمة من معنى. ما هي السلفية ؟ هي نبش القبور وأكل لحوم الموتى ومصّ عظامهم.

...

أوّل آيتان من سورة الحديد تتحدّث عن وجود الأشياء وحالاتها قبل خلقها، أي وجودها في العلم الإلهي وفي ذات الله، ثم تأتي الآية الفذّة العظمى، آية الهوية المطلقة، ثم بعد ذلك من قوله {هو الذي خلق السموات والأرض} يبدأ الحديث عن الأشياء بعد خلقها وفي ما هو "دون" الله. فلكل شئ وجود إلهي ووجود كوني، والبداية تتحدّث عن الوجود الإلهي، ثم تذكر الهوية الجامعة، ثم تتحدّث عن الوجود الكوني. أدقّ فهم للقرءآن يأتي حين تقرأ الآيات بتسلسلها الطبيعي.

...

أن تكون فاروقاً ليس فضيلة. ولو كان فضيلة لكان الفاروق الأكبر هو إبليس، لقول الله {ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلا فريقاً من المؤمنين. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم مَن يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شكّ}، فأرسل الله إبليس ليكون فاروقاً بين مَن يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شكّ. الفاروقية مطلقاً ليست فضيلة. الفضيلة الفاروقية الخاصّة وهي للرسول صلى

الله عليه وسلم لقول الله له "إن شانئك هو الأبتر"، فتعرف الأبتر بشنآنه للنبي، فكان الموقف من النبي يحدد قيمة الإنسان عند الله واتصاله به من عدمه ودرجته.

...

{قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير}. الأمر بالدعاء هنا وإن كان صادراً عن الرسول فإنّه ليس أمراً شرعياً بالمعنى الخاصّ للشريعة، لأن الشريعة خالصة لله ودعاء شئ من دون الله على سبيل الألوهية والملكية والشرك والمظاهرة-وهي الأمور التي أشارت إليها الآية-شرك لا يأمر به الله ورسوله. لكن الأمر يدلّ على جواز التجربة، فمن أراد تجربة ذلك فليفعل، وسيرى صدق القرءآن من عدمه، أي سيتبيّن له أن الذين يدعوهم من دون الله، ومن دون الله شرط لإقامة هذه التجربة أي لا يكون المدعو لموجود من لدن الله في إيمان الداعي ولا يكون المدعو مظهراً لله تعالى وأسمائه الحسنى فإن هذا ليس {من دون الله} بالمعنى الدقيق، وسيتبيّن له إن دعا شيئاً من دون الله أن هذا الشئ لا يملك وليس شريكاً ولا ظهيراً لله تعالى. الرسول يأتي ببينات للمؤمنين وتجارب للكافرين. فمن لم يصدّق بالبيّنة، فعليه كأدنى حد أن يقوم بالتجربة أي لا يتولّى عن التجربة ليرى صدق الآية القرءآنية.

...

تريد أن تعرف أهمّية القول في القرءآن؟ سورة الرعد بكل آياتها لا يوجد فيها أمر إلا أمر واحد وهو {قل} ورد عشر مرّات. سورة سبأ بكل آياتها لا يوجد فيها إلا أمر واحد وهو {قل} ورد خمسة عشر مرّة. إذا وجدت القول محترماً، فقد وجدت الإنسانية. وإذا وجدت القول معظّماً، فقدت وجدت النبوة. وإذا وجدت القول مقدّساً، فقد وجدت الربوبية. وإذا وجدت القول مؤلهاً، فقد وجدت الجنّة العليّة. {سلام قولاً من ربّ رحيم}.

...

التبرّز والتبوّل عمليات عظيمة، ليست حقيرة ولا تجعل الإنسان منحطّاً. لماذا؟ لأنهما ردّ للدَّين الطبيعي بالتالي سبب لحرية الإنسان. فالإنسان يأكل من الأرض ويشرب، وبهاتين العمليتين يردّ ما أكله وشربه كتغذية للأرض ذاتها. فهو مُطعَم يُطعِم، ومتغذي يُغذِّي. هذا أهمّ ما فيها على المستوى الطبيعي. وهو دليل على فقر الطبيعة وعدم ألوهيتها، فإن الإله لا يُطعَم ولا يتغذّى من غيره. لذلك قال القرءآن عن الله "وهو يُطعِم ولا يُطعَم". وحين أراد نفي ألوهية عيسى ومريم قال "كانا يأكلان الطعام" وهذه ليست كناية عن التبرز والتبوّل لكنّها حقيقة في الأكل، نفس الأكل دليل على عدم الألوهية، لأن الأكل لا يكون إلا من ناقص الذات، وناقص الذات ليست إلهاً. (النقص بمعنى الحاجة للاستكمال بالغير والحاجة إلى شخص الغير والقابلية للتكامل والانتقال من حال إلى حال بسبب خارج الذات). فتأليه الطبيعة في قبال الإنسان باطل من كل وجه، إذ الإنسان جزء من الطبيعة فلو كانت مؤلهة لكان الإنسان كذلك، وحيث أن الإنسان ليس كذلك فهي ليست كذلك أيضاً. نعم، الرائحة المقرفة للبراز والبول سبب طبيعي لدفنهما ووضعهما في الموضع المناسب لهما، فهو تعليم ربّاني صامت، تعليم بالأفعال والأحوال. كما أن تعليم الإنسان المضاجعة جاء عبر فعل طبيعي وهو وضع اللذّة في الفروج مثلاً، وهو تعليم صامت، كذلك في التبرز والتبول جاء التعليم صامتاً لدفع الإنسان لوضعهما في الموضع المناسب لهما وهو الدفن والإخفاء في الأرض. فالقرف لطف. واحتقار الشئ بسبب قرفك منه الذي لم تفهم رسالته دليل

على جهلك أنت لا على انحطاطه هو. الحاصل، إن كان ولابد من النظرة العاطفية، فالعاطفة المناسبة للتبرز والتبوّل ليست الاحتقار بل الافتخار.

...

{أستكبرتَ أم كنت من العالين}. لمّا جاء باسم {العالين} ولم يقل : علوت، وَ لمّا قال {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ} فذلك الامتناع، دلّ ذلك من وجه على وجود صنف من الخلق هم {العالين} وهؤلاء الم يسجدوا لآدم بسبب علوّهم والذي منه اشتقّ اسمهم {العالين}. ولمّا كان العلوّ بالحقيقة لله تعالى، والعالي من خلقه هو الذي يكون علوّه بسبب إعلاء الله له، وإعلاء الله في تلك العوالم يتعلّق بخلق كالملائكة مثلاً أو صنف آخر من الخلق الذين لهم علوّ خاص، ولمّا كان العلوّ في الحقيقة هو قرب من الله بنحو خاصّ إذ هو العلي الأعلى المتعال، كل هذه القرائن تجعلنا نفهم لماذا قال الشيخ الأكبر في الفصوص بأن العالين هم-ما معناه-خلق خاص من الملائكة لم يؤمَروا بالسجود لآدم بسبب علوّهم. فالعلوّ هنا علوّ حسن وليس العلوّ المذموم المنسوب للفراعنة "إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين".

كلّما كان الفقر أشدّ كلّما ارتفع التكليف عن الإنسان وكان أقرب إلى فطرته بالتالي أقرب إلى ربّه (لذلك السجود أقرب ما يكون العبد إلى ربّه). وتجد ذلك في جوانب مختلفة من الفقه. مثلاً، الاتجاه للقبلة فرض، لكن إذا جهل الإنسان موضع القبلة سقط عنه ذلك وصحّت صلاته وإن أخطأ في الاتجاه، فهنا نجد فقر العقل الذي هو الجهل، وكذلك إذا كان مريضاً بحيث لا يستطيع التحرّك وتغيير اتجاهه إلى القبلة التي يعلم جهتها، مع ذلك عجزه يرفع عنه تكليف الاتجاه إلى القبلة وتصحّ صلاته، وهنا نجد فقر الجسم الذي هو العجز، وعلى هذا النمط، ستجد أن التكليف مربوط بصفات الكمال، وهي صفات الربوبية، فكلّما زادت تجليات الربوبية في الإنسان كلّما وجبت عليه شرائع وتكاليف أكثر تذكيراً له بعبوديته، ومَن تمّت عبوديته ارتفعت عنه التكاليف بنفس الشريعة وأصولها وليس بسبب اعتقاده أنه كامل العبودية لا يحتاج إلى الشريعة، كما بيّنا في مثال القبلة. الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والصبر والكلام، صفات الربوبية السبعة الأمّهات، كلّما زادت إشعاعاتها في العبد كلّما توجّهت عليه الأحكام الشرعية، والعكس بالعكس. فالميت حرّ من الشريعة، والجاهل والعاجز والمُكرَه والأصمّ والأعمى والأبكم، كلّهم أحرار من الأحكام الشرعية ولهم المقامات العلية. فإذا سلب وهب، وإذا وهب سلب. فأكثر الخلق حريّة أكثرهم فقراً. الفقر هو الحرية، والغنى هو العبودية. لذلك قال محمد "الفقر فخري"، وما رفعه أعلى المراتب إلا لأنه كان يحيا فقيراً مطلقاً حتى وهو يجد صفات الكمال متجلّية فيه، فقد كانت عينه شاهدة لفقره إلى الله مطلقاً، ويشهد فقره في عين غناه، ولا يرى غناه إلا غنى الله وليس غناه هو، "ووجدك عائلاً فأغنى"، فالعائل اسمه هو، اسم محمد، "ووجدك عائلاً"، وهو وجود لا يتغيّر لأنه اسمه، لكن "فأغنى" هو إغناء الله، فهو من الغني بالتالي ليس لمحمد إلا حظّ المرآة من تجلّي الشخص فيها، ولم يقل "فجعلك غنياً" مثلاً في هذا الموضع الذي بيّن فيه الحقيقة الجوهرية.
من هنا تجد ما سأله الأنبياء-سواء أجيبوا أم لم يجابوا-قد أعطاه الله محمداً بدون سؤال، فموسى سأل "رب اشرح لي صدري"، لكن محمد قيل له بدون سؤال "ألم نشرح لك صدرك"، وهلمّ جرّاً، لأن محمد هو الفقر المطلق إلى الله المطلق، ولذلك أُعطي عطاءً مُطلقاً، "إنّا أعطيناك الكوثر"، أعطاه شيئاً لم يتكرر حتى اسمه في القرآن كلّه إذ كلمة الكوثر لم ترد إلا مرّة واحدة

هنا، فدلّت على فرادتها وإطلاقها وأحديتها حتى بصورتها فضلاً عن حقيقتها ومعناها، ودلّت على الكثرة الكثيرة أي اللانهاية، فلمّا كان فقره مطلقاً جعله غنياً غنى مطلقاً حتى قرنه باسمه تعالى فقال "أغناهم الله ورسوله من فضله"، فقرنه باسمه تعالى وجعل الفضل واحداً غير مثنى "من فضله" و لم يقل "من فضلهما". بناء على ذلك، نفهم لماذا قال الحكيم الترمذي رضي الله عنه في نوادر الأصول بعدم الادّخار وأنّه الأفضل، لأن الادّخار فيه رائحة تدبير النفس للنفس وفيه-أو يحتمل ولو من وجه-الشكّ في العناية الحيّة الحاضرة للرزّاق تعالى، إذ جعل الله الرزق الكامل هو الذي لا يحمله العبد "وكأيّن من دآبّة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم وهو السميع العليم"، فلمّا لم تحمل رزقها كان الله هو المتكفّل برزقها، ودلّ بقوله "وإيّاكم" على أن هذا المقام هو كمالكم، وقد وردت الآية في سورة العنكبوت وهي سورة العلماء وأهل كتاب الله، ووردت في آخر مقطع المتعلّق بالهجرة في الله وهي آيات يخاطب الله بها عباده الذين ءآمنوا مباشرة بدون حتى حجاب "قل" الرسولي وهي من نوادر القرءآن، فدلّ ذلك على أن المقام الأعلى لأهل الله هو عدم حمل الرزق-نسأل الله العفو والعافية والإمداد بالقوّة واليقين والرفعة. فما ذكره الحكيم الترمذي هو المقام الأعلى للمحمديين.

نسأل الله أن يلهمنا فهم كلامه وكلام أوليائه، ويحرسنا من الاعتراض الدالّ غالباً إن لم يكن دائماً على وجود الأمراض، وهو الشافي لا إله إلا هو والهادي لا ربّ سواه.

...

قال: اشرح لي الصلاة العدّاسية. (وهي الصلاة التي فُتِحَت عليّ بفضل الله ورحمته).

أقول: هذا واحد من شروحتها بإذن الله.

هي أربع مقاطع، كل مقطع من فصلين. فالمجموع ثمان فصول. فالأربعة عدد كلمات البسملة والحمدلة، وعدد العوالم الأربعة العزّة والجبروت والملكوت والملك، وعدد أركان الكعبة، وعناصر الطبيعة. ونور الصلاة على النبي يستمدّ من كل ذلك ويتجلّى في كل ذلك. والثمانية عدد أبواب الجنّة، التي تُفتَح بإذن الله ورحمته لمن علم وعمل بهذه الصلاة.

المقطع الأوّلى: النداء والدعاء.

الفصل الأوّل، نداء الحقّ تعالى من جهة ألوهيته الجامعة وربوبيته الشاملة. فتقول {اللهمّ ربّنا}، فقولك {اللهم} هو الله مع الميم، والميم إشارة إلى الجمع أي إلى الأسماء الحسنى كلّها، والميم أيضاً إشارة إلى محمد الذي هو الوسيلة الكبرى والرحمة المرسلة للعالمين التي بها رحم الله كل شئ. وقولك {ربّنا} إشارة إلى ربوبيته للعالمين، ف"نا" من {ربّنا} إشارة إلى العالمين وكل موجود، وأنت تدعو من قلب الوجود باسم كل موجود ونيابة عن كل موجود من حيث نطقك عن الروح الكلّية الجامعة للكل والكامنة في الكل.

وقولك {اللهم} إشارة إلى الله أي إلى البسملة من حيث اشتمالها على اسم الله. وقولك {ربّنا} إشارة إلى الحمدلة من حيث قوله "الحمد لله رب العالمين"، والقرءآن كلّه مجموع بين هاتين الكلمتين، وكل الكتب الإلهية كامنة فيهما، وهما كلمتان سمعتهما سمع خطاب وسمع تأثّر تكويني من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بنفسي في الجنّة حين عُرِجَ بي إليه وجالسته في مجلس ضمّ ستّة أفراد أنا آخرهم وهو في وسطنا وكنّا كقاب قوسين وهو وسطنا.

الفصل الثاني، دعاء العبد وطلبه من الله، وهو قولك {صلِّ وسلِّم وبارك على}، فالصلاة إفاضة النور لقوله تعالى "هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور"، والسلام هو أن يفضل عليه من النور ما لا يجعله يخرّ صعقاً ويندكّ جبل وجوده بالكلّية وهو من قوله تعالى في موسى "فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً"، فنحن نحترّز بذلك من أن يصيب النبي شيئاً يفني وجوده عنّا بالكلّية ويجعله غير ملتفت إلينا بسبب اختطاف الأنوار الإلهية له بالكلّية عنّا أو بأن يفنى وجوده أصلاً بسبب شدّة التجلّي النوري الإلهي فنطلب له السلامة بسب الصلاة، ثم نطلب البركة وهي الخير الدائم النامي، أي أن يُعطى من النور ما يكون فيه خير له ولنا، وأن يدوم هذا الخير إلى الأبد، وأن ينمو ويزداد كيفاً وكمّاً وشكلاً ونوعاً ولوناً إلى ما لا نهاية من التغيرات المناسبة لأحوالنا وأن يُبسَط لنا في كل ذلك ويُبسَط لنا في استعدادنا لقبول ذلك النور. وقولنا {على} والوقوف عندها من أدب تلاوة هذه الصلاة، تنبيه على أمور، منها التوازي بين "ربّنا" و "على"، فعلى هنا توازي "نا" هناك، وكما أن "نا" تشير إلى العالمين وكل موجود، ف"على" تنبيه على الموجود الأول والوسيلة الكبرى والخليفة المطلق في الموجودات كلّها، ومنها التنبيه على المقام الغيبي الأصلي للحقيقة المحمدية، فنحن نقول {على} ونقف قبل التعريف وذكر الأسماء النبوية، حتى نتذكر بأن حقيقته الأصلية غائبة عنّا ولا ندركها وهي أشرف من أن ندركها، فهو غيب مجهول لنا من حيث حقيقته ولم نعرفه إلا بقدر خاص وبلغة خاصّة بنا وبحسب حدودنا، فالنبي أعلى من أن ندركه على ما هو عليه، لذلك نقول {على} ونقف عندها وقفة لنغيب في غيبه، ونفنى في بحره، ونستشعر سرّه المكتوم. فالعالمين شهادة، لكن النبي غيبها. والعالمين مظاهر، والنبي جوهرها. والعالمين ظلال، والنبي أصلها. لذلك قولنا {ربّنا} في نهاية الفصل الأوّل، يوازي قولنا {على} في نهاية الفصل الثاني. وبدعاء {صلّ وسلم وبارك} نعترف بأننا أتباع النبي وجوداً وبقاءً وسعادةً، ونعترف بأنه الوسيلة في حصول الخير لنا من لدن الله تعالى، ونعترف أيضاً بأن النبي عبد الله ورسوله ولا يوجد نعمة عند النبي إلا وهي من لدن الله تعالى لا غير فالنبي فقير فقراً مطلقاً إلى الله تعالى ولا يملك لنفسه بنفسه ولا لغيره بنفسه من دون الله ذرّة فما دونها، لذلك نسأل الله له الصلاة والسلام والبركة ونعلم بذلك أن ما يفيضه علينا النبي إنما ورد إليه من ربّه جلّ وعلا وليس من ذاته بذاته في حدود ذاته المستقلّة عن ربّه. فتمام "لا إله إلا الله" و "محمد رسول الله" في هذا المقطع. فوحدة الفيّاض والفيض والمفيض والمُفاض عليه في هذا المقطع، فلا فيّاض إلا الله، ولا مُفيض إلا النبي، ولا فيض إلا فيض الله على النبي وفيض النبي على الخلق، والمفاض عليه وهم الموجودات كلّها سلك واحد من العباد "إن كل مَن في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً".

المقطع الثاني: أسماء الوسيلة.

الفصل الأوّل، {سيدنا محمد}، الفصل الثاني {ومولانا أحمد}.

السيادة بالشريعة والظاهر، والمولوية بالطريقة والباطن. فمحمد اسم حقيقة النبي حين تظهر في العوالم الظاهرة والملك ولها النعم الرحمانية الخلقية الجزئية وفي العالَم الإنساني تظهر بالشريعة وأحكام الفقه وسنن الأدب الجسماني والاجتماعي. وأحمد اسم حقيقة النبي حين تظهر في العوالم الباطنة والملكوت ولها النعم الرحيمية الكونية الكلّية وفي العالَم الإنساني تظهر

بالطريقة والعلوم العرفانية والأذكار الخاصّة بأهل الله والأدب مع مظاهر نور الله وأوليائه في العالَم العلوي والسفلي.

عيسى بشّر باسم أحمد، "رسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، فلمّا ذكره باسمه "أحمد" وهو لم يظهر بعد في الأرض، دلّ ذلك على أنه اسمه في السماء، في الغيب. لذلك نُسبَ أحمد إلى الحقيقة الباطنة. وكذلك لأن عيسى له الباطن كما أن لموسى الظاهر بحسب أحد الاعتبارات.

لمّا ذكر "محمد رسول الله" في آخر السورة قال "والذين معه أشدّاً على الكفار رحماء بينهم"، فذكر محمداً وهو في الأرض ومع الناس وفي عالَم الخلق والأضداد حيث يوجد المؤمن والكافر، ويختلط الخير مع الشرّ، ويجتمع الناس وتتداخل الأمور، وهو حال الدنيا وعالَم الظاهر، لذلك كان اسم محمد للظاهر.

السيادة خدمة، والمولوية نعمة. أمّا السيادة فلقول النبي صلى الله عليه وسلم "سيد القوم خادمهم"، فمحمد هو الذي يخدم عالَم الظاهر ويعالج مصالح الناس ويصلح الطبيعة والمجتمع بقدر استطاعته وبأحكام شريعته، والخدمة قيام على العاجز عن شئ أو الضعيف عنه بما يصلحه، وهذا حال ظاهر الناس في الأرض من حيث حاجتهم إلى معرفة المصالح الدينية والدنيوية المقيدة بالدين. أمّا المولوية فلقول النبي "الولاء لمن أعتق"، أي أعتق من العبودية، والطريقة الباطنية كلّها عتق من رقّ الأكوان وتحرر من قيد الظلمات والطبيعة والجسمانية والبشرية، وأحمد هو الذي يعتق الناس من ذلك بسرّ الكلمة الإلهية والقوّة التي أعطاها إيّاه ربّه بقوله "لتخرج الناس من الظلمات إلى النور"، فهو مولانا لأنه أعتقنا من رقّ الأكوان وحررنا من قيد الطبيعة بنور علم الباطن والرفع إلى الأفق الأعلى وفتح باب الحضرة الإلهية بمفتاح روح القرآن.

محمد وأحمد يوصل إلى مقام الحمد. والحمد نهاية العلم والسعادة. لأنه لا يحمد العبد إلا بعد استشعار النعمة وحصول الخير وتحقق اليقين. لذلك "حمد" كامنة في اسم محمد واسم أحمد، والفرق بينهما في أوّل حرف. فأوّل محمد الميم، وأوّل أحمد الألف، وقد عرفنا من "اللهم" أن الميم إشارة إلى الجمع والكثرة ولو في مفهوم العباد وتحليل عقولهم، والألف إشارة إلى الوحدة والأحدية، وكذلك هو الفرق بين المقام المحمدي الذي يشير إلى كثرة الخلق، والمقام الأحمدي الذي يشير إلى وحدة الحق. فمحمد يُعرِّف النعم الظاهرة وتجليات الأسماء الإلهية في الكثرة الطبيعية، وأحمد يُعرِّف النعم الباطنة وحقيقة الهوية الإلهية المافوق طبيعية. وظهور النور المحمدي والأحمدي في النفس يتمّ استشعار الحمد والتحقق به فعلاً وحالاً ثم قولاً بـ"الحمد لله". فآيَة "الحمد لله" تشير إلى وجهين، وجه يدلّ على أن فاعل الحمد هو الله، فقولك "الحمد لله" يعني أنك تقرّ بأن فاعل الحمد هو الله فقط ولا ينبغي القيام بالحمد إلا لله، وهذا هو الوجه الأحمدي، الذي يشير إلى أحدية الفاعلية في الوجود وأن لا فاعل إلا الله لكل خير ولكل وجود. الوجه الآخر يدلّ على أن موضوع الحمد هو الله، فقوله "الحمد لله" يعني أنك تقرّ بأنه لا يستحقّ الحمد إلا الله، وهذا شهود لرجوع كل خير في الوجود إلى ذات الله وأسمائه تعالى، وهو الوجه المحمدي الذي يُرجع الكثرة إلى الوحدة. فأحمد يجعلك ترى الوحدة مُبدئة للكثرة، ومحمد يجعلك ترى الكثرة راجعة للوحدة، فتمّ القوسين واكتملت النعمتين.

المقطع الثالث: مقامات النبي.

في المقطع الثاني دلالة على الحقيقة النبوية من حيث تعاليها وتنزيهها والأصل الأعلى لها. أو عزّتها. لكن في هذا المقطع ذكر لمقامات تنزّل الحقيقة النبوية في العوالم الثلاثة الكلّية، الروح والنفس والجسم، أو العرش والسماء والأرض. لذلك نقول {العبد الكلّي، والنبي الأمّي، والرسول العربي}. فهو العبد الكلّي في عالَم الروح وعند العرش، وهو النبي الأمّي في عالَم النفس وفي السماء، وهو الرسول العربي في عالَم الجسم وفي الأرض.

وجه آخر هو أن الأوصاف الثلاثة هنا تعريف للنبي من حيث ظهوره الأرضي. فهو العبد الكلّي من حيث قول الله عنه "عبد الله" و "أنزل على عبده الكتاب"، فهو عبد اسم الله وهو عبد الهوية الإلهية، فلا يرى لنفسه وجوداً منفصلاً عن وجود الله، ولا يرى لنفسه كمالاً منفصلاً عن أسماء الله، وعقله من وحي الله، وإرادته مسلمة لأمر الله، وهو تمام العبودية، فعبوديته كلّية غير جزئية، أي لم يكن عبداً لله أحياناً وعبداً لهواه ونفسه أحياناً أخرى، بل أخلص عبوديته لله تعالى مطلقاً، علماً وعملاً. وهو النبي الأمّي من حيث قول الله عنه "النبي الأمّي"، ونبوّته إشارة إلى العلم الذي أوحي إليه أي الأنباء وهي الإخبار عن الوجود والعدم بالحق وبما هو مطابق للواقع، وهو أمّي بمعنى لم يتعلّم إلا من أمّ الكتاب، ولم يأخذ علمه من بشر صادق ولا كذّاب. وهو الرسول العربي من حيث قول الله عنه "يأيها الرسول" و "ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" وقال "بلسان عربي"، فهو الرسول العربي لقومه العرب برسالة عربية وهذا أصلها. والرسول إشارة إلى الأحكام والأوامر التي جاء بها بما يتطابق مع إرادة الله ورضاه، كما قال "يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" وقال "من يطع الرسول فقد أطاع الله". فجمعت بقولك {العبد الكلّي والنبي الأمّي والرسول العربي} معرفته صلى الله عليه وسلم من حيث مقامه العرفاني ومقامه الإنبائي ومقامه التشريعي، أي حاله مع الله وحاله مع عباد الله، فهو مع الله عبد كلّي، ومع عباد الله نبي أمّي ورسول عربي، وليس وراء ذلك مقام كمالي لإنسان لا مع الحق ولا مع الخلق. فالفصل الأوّل هو {العبد الكلّي} والثاني {والنبي الأمّي} والثالث {والرسول العربي}.

المقطع الرابع: ورثة النبي.

لأن للنبي ورثة ومظاهر وامتدادات في الخلق، فهو مركز وشمس وهم دوائر وأقمار، كما قال الله "وورث سليمان داود" و قال "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"، وقال "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم" وقال "لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى" وقال "ءات ذات القربى حقّه والمسكين وابن السبيل"، وآيات كثيرة في الباب، كل ذلك يشير إلى استمرارية وجود نور النبي في الأمّة بأنحاء مختلفة تتناسب مع العوالم التي يوجد فيها هذا النور بحكم "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فله في كل عالَم رحمة ومظاهر يُمدّون أهل ذلك العالَم بالرحمة التي أُرسِلَ بها. وللتنبيه على هذا الأمر نقول في الفصل الأوّل-حسب قراءة-{وعلى آله} وهم مَن يؤول أمرهم إليه، فهم منه وإليه، وهم ظلّه الممتد على من سواهم من الخلق، فهم {الظاهريين} وهم الذين انتسبوا إليه من حيث جسمه أي ذريته الجسمانية، وكذلك الذين انتسبوا إليه من حيث شريعته أي أتباع أحكامه الفقهية. {والباطنيين} وهم الذين انتسبوا إليه من حيث روحه أي ذريته الروحانية، وكذلك الذين انتسبوا إليه من حيث طريقته أي أتباع

أذكاره العرفانية. فهنا الإشارة عمّت كل ظاهر وكل باطن، أي كل نوراني وكل ما له ذرّة من نور فما فوق من الموجودات الظاهرة والباطنة، الملكية والملكوتية، الشهادية والغيبية، وذلك يعمّ في الحقيقة كل موجود بلا استثناء إذ "من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور" ولا يخلو موجود من نور ولو ذرّة فما فوق ولذلك قال الله "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها" أي فما فوقها في الصغر والحقارة في اعتباركم القاصر، والسبب أن الحق يتجلّى في كل الموجودات فهي كلّها أمثال له بوجه أو بآخر، عرف ذلك من عرفه وأنكره مَن حُرِمَ منه، ومن هنا نجد الله يضرب مثلاً لنوره المقدّس المتعالي بمشكاة وزجاجة هذا والزجاج يُصنَع من الرمل وهو التراب وهو أسفل الموجودات، فحتى الرمل يُضرَب به لنور الله المثل فاعقل. وعلى ذلك آل النبي على الحقيقة هم كل الموجودات مطلقاً على التحقيق، أو للدقّة هم كل نور موجود في كل موجود، فهذا النور هو من آل النبي بغض النظر عن بقية الظلمات الممتزجة مع هذا النور والتي ليست من النبي إذ "مَن تبعني فإنّه مني" وبما أن ذلك النور تابع لنور النبي فهو من النبي فهو من آله. ذلك نقول بعدها {من الأولين والآخرين} أي من أول موجود إلى آخره، ومن أوّل الزمان إلى آخره، ومن السابقين واللاحقين، من الأزل إلى الأبد، كل ظاهر وباطن نوراني في ذلك هو من آل النبي.

والفصل الثاني هو عودة إلى الفصل الأوّل من المقطع الأوّل أي {وأنت خير الرازقين} فهذه الصلاة في الحقيقة طلب لرزق مخصوص من الله تعالى، لذلك نتوسّل باسم خير الرازقين فيها، وكذلك فيها إشارة إلى الروحانية العيسوية إذ دعاء اللهم ربّنا وأنت خير الرازقين هو دعاء عيسى في المائدة، فنحن نسأل أيضاً بهذه الصلاة مائدة نورانية لذلك قدوتنا فيها عيسى بن مريم عليه السلام، وهي إشارة إلى ختم الولاية العامّة أيضاً. ومن وجه آخر، ذكرنا لخير الرازقين تنبيه على وجود درجات في ظهور النور الإلهي في العالَم، وهو الحجّة على وجود مظاهر وآل للنبي الذين يحملون هذا النور ويفيضوه بدرجات مختلفة بحسب مراتب العالم المتعددة، فهي الحجّة القرءآنية على صحّة وجود الآل، لأن الله قال "خير الرازقين" مما يدلّ على وجود "الرازقين" الكثر، لكن الرازق حقيقة هو الله وحده، إلا أن الله أمرنا بأن نرزق كما قال "فارزقوهم"، فدلّ على ظهور الاسم الإلهي في مظاهر مختلفة وكثيرة في العالَم، وكل رازق من الخلق يرزق بقدر ما أُوتي من الرزق من لدن الرزاق تعالى "لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها"، وحيث أن أصل الإفاضة على النبي ومن النبي على الخلق، كان كل مالك لشئ من الكمالات في الخلق تابعاً للنبي وهو من آله، وهو المطلوب إثباته بهذه الحجّة.

يمكن قراءة المقطع الأخير كفصل واحد هو {وعلى آله الظاهريين والباطنيين من الأولين والآخرين وأنت خير الرازقين} وعلى هذه القراءة تكون الصلاة مكوّنة من ثمانية فصول، وهو عدد شفعي زوجي يدلّ على أبواب الجنّة الثمانية، والتي هي أيضاً أعضاء التكليف الثمانية القلب والعين والسمع واللسان واليد والرجل والفرج والمعدة. لكن يمكن قراءته كفصلين بحيث يكون ذكر الآل فصل وذكر الاسم الإلهي فصل ثانٍ، فيصبح المجموع تسعة فصول، وهو عدد وتري فردي يدلّ على نهاية العدد الفردي المكوّن من الواحد إلى التسعة وهو إشارة إلى تقديس العدد وربطه بالنور الأعلى وبحيث لا يُرى العدد إلا في ضوء الأحد، ولا يُرى الكمّ إلا كتابع للكيف المقدّس، وهو بحد ذاته حرز من ضلال الماديّين ودرع ضدّ النزعة الجهنّمية القائلة "هل من مزيد" كمّاً دون كيف. فالصلاة إذن قابلة لقراءة شفعية ووترية، وعلى الوجهين فيها خير والحمد لله رب العالمين.

...
وردتني هذه الرسالة وسأحذف الاسم فقط:
السلام عليكم و رحمة الله
كل عام و انتم بخير
استاذنا الفاضل لقد استمتعت بحديثكم الماتع و جذبني تحليلكم لبديع كلام الرحمن القرآن الكريم و نهجكم الفلسفي لربط النفس البشرية بمستقرها العلوي..
ارجوا منكم مساعدتي و ارشادي في امر يحيرني منذ زمن اما عن طريق الاجابة المباشرة او توجيهي لرابط تحدثتم فيه عن هذا الامر..
تفسير الآيات الكريمة للحجاب.. كيف نرجح و نتبع ما يرضي ربنا بين اجماع العلماء على تغطية شعر و جسد المرأة و بين من فسر هذه الايات بعدم وجوب ذلك و انه نزل بشكل خاص لامهات المؤمنين و كان في ذلك الزمان للتفريق بين الجارية و المرأة الحرة..

و لكم مني جزيل الشكر و التقدير و فتح الله عليكم فتوح العارفين

تحياتي،
د. فلانة فلان فلاني
معهد اللغة الانجليزية
جامعة كذا

أقول:
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
وأنتِ بخير وعافية دكتورة رولا والأهل والأحباب معكم.

بالنسبة لسؤال الحجاب : يردني هذا السؤال كثيراً ولذلك اسمحي لي بذكر بعض النقاط.

النقطة الأولى، الحجاب مسألة فرعية وليست أصلية في الدين. فهذا التشديد على موضوع الحجاب وجعله هو القضية المركزية أو الكبرى في حياة المرأة المسلمة هو شئ اخترعه البعض قبل فترة ليست ببعيدة وهم أيضاً الذين حوّلوا الدين من علم بالله وحياة روحية (وهي القضية المركزية الحقيقية) إلى بعض من المظاهر والشكليات الاجتماعية حصراً وعليها يكون الولاء والبراء والإيمان والكفر ولو من الناحية العملية. فيجب علينا أوّلاً أن نُرجِع القضية إلى حجمها الطبيعي، وحجمها الطبيعي هو فروع الدين، بل فروع فروع الدين. فلا ينبغي المبالغة في الاهتمام بها على حساب الأصول أو الفروع الكبرى. والمواقف فيها بالتأكيد يجب أن لا تكون محلاً للتعصّب أو سبباً للحيرة المقلقة المزعجة والتي تجعل الإنسان يشعر بأنه يرتكب شيئاً عظيماً أيا كان الرأي النهائي الذي سيستقرّ عليه، لأنّه في نهاية المطاف كلّنا مسلمين ونريد ما يقرّبنا إلى الله لا ما يبعّدنا منه كما ذكرتي في رسالتك "كيف نرجح ونتبع ما يرضي ربّنا"، فهذه النية الشريفة هي

التي ستنفخ روحها في أي عمل نهائي يستقر عليه الإنسان ومثل هذه الروح لا تكون إلا مباركة للعمل الذي تُقيمه وتبعثه.

النقطة الثانية، اللباس يؤثر على نفسية الإنسان. هذا أمر مقرر ويستطيع كل واحد فينا أن يلاحظه إذا تأمل في نفسه حين يختلف لباسه. هذا بشكل عام حتى لو كنّا وحدنا في بيتنا وليس معنا أحد يشاهدنا، فإن نوعية لباسنا تؤثر على حالتنا النفسية. لذلك ينبغي علينا الأخذ باللباس الذي يجعل نفوسنا أقرب إلى الصفاء، لأن صفاء النفس شرط أساسي في الحياة المبنية على القرءآن، أي المبنية على دراسة القرءآن وتأمل كلام الله والحياة به خلال اليوم كلّه (وهنا هي القضية الكبرى التي ينبغي التركيز عليها والقلق-إن وجب القلق-بشأنها). كل ما يجعل حياتنا أقرب لروح القرءآن ويفتح عقولنا ويمكّن قلوبنا من تأمل القرءآن، فهو خير. وكل ما سوى ذلك فهو شرّ. بدرجات متعددة في الجهتين. هذا هو الأصل الذي ينبغي علينا القياس عليه، وهكذا نعرف كيف نزن الأشياء بميزان الحق. وهذا ينطبق ليس فقط على موضوع اللباس، لكن على موضوع الطعام (أي نوعية الطعام الذي يساهم في تصفية نفوسنا ويساعد على صفاء عقولنا)، وعلى موضوع السكن (كيف نفرش بيوتنا بحيث تكون أقرب للبساطة والجمال المناسب لروح القرءآن)، وكل موضوع آخر. الله جميل ويحب الجمال، والقرءآن جميل ويحبّه كل جميل ويناسبه كل جميل، فكلّما ازداد جمال الإنسان كلّما ازداد حبّاً ومعرفة بأسرار القرءآن. هذا هو الأصل الذي ينبغي القياس عليه والبحث عن ما يشبهه والأخذ به.

النقطة الثالثة، اللباس "الرسمي" للرجل المسلم والمرأة المسلمة في كل بلاد المسلمين، أقصد اللباس التقليدي، هو لباس يغطّي فيه كُلاً منهما شعره وجسمه. انظري إلى رجل باللباس الرسمي (ثوب وشماغ مثلاً) وستجدي أنه مثله مثل المرأة لا يظهر منه إلا وجهه وكفّيه. وانظري إلى أي شيخ يلبس عمامة أو غترة ومشلح وستجدي نفس الأمر. بل في بعض المجتمعات المسلمة التقليدية-في الأندلس مثلاً-كان الرجال يغطّون حتى وجوههم ويتلثمون. ستر الجسم بشكل عام هو الوضع الأصلي عند الرجال والنساء. والسب في ذلك يرجع إلى أمور متعددة منها بحسب البيئة، ومنها بحسب العقيدة، ومنها بحسب طلب التصفية.

أمّا البيئة، فالأصل الظاهري للباس في جميع المجتمعات ومنها المسلمة، يتلائم مع حال البيئة من الحرارة والبرودة ونحو ذلك. وهذا واضح لا يحتاج إلى شرح. لكن لا تكفي البيئة لتفسير اختلاف ألبسة الناس، بدليل أننا نجد مجتمعات لها بيئة متشابهة وتختلف أشكال وحدود ألبستها. وهنا تأتي العقيدة، فالعقيدة التي ترى الجسم شيئاً سافلاً تميل إلى تغطيته وستره، على اعتبار أن الجسم من العالَم السفلي بينما الروح من العالَم العلوي، فيسترون أجسامهم تذكيراً لأنفسهم وغيرهم بأنّ وجودهم لا ينحصر في هذه الأجسام بل هي أسفل ما في درجات وجودهم، ولذلك يميل هؤلاء إلى اتخاذ ألبسة لها رموز تدلّ على تلك المعاني العلوية مباشرة (كاتخاذ أشكال معينة، كما نجده مثلاً في ألبسة رجال الدين من الأديان الأخرى خصوصاً أثناء القيام بطقوسهم حيث يكون لكل لباس وحتى لونه رمزية خاصّة) أو غير مباشرة (مثلاً، الميل للباس البسيط وغير المخيط بتكلّف، والذي يعني قلّة القيود، والذي يرمز إلى حقيقة الروح ذات الحقيقة البسيطة وغير المقيدة بقيود الطبيعة، ونحو ذلك من الرمزيات). وأخيراً طلب التصفية، وهو

ما يميل إليه اللباس التقليدي للمسلمين عموماً، رجالاً ونساءً، والتصفية تكون بالبساطة والسعة والتغطية والتشابه. أربعة عوامل أساسية تفسّر اللباس التقليدي ومنه الحجاب.

فالبساطة تذكّرنا بأمرين، الأوّل رمزي وهو بساطة الروح وعدم تركيبها وكثرتها، والثاني مادّي وهو معرفة قدر الدنيا وأن متاعها قليل ولا ينبغي علينا الاستكثار من الاهتمام بها بنحو يعقدها بل علينا تبسيط أمور معيشتنا حتى نتفرغ لأمور روحنا وآخرتنا وطلبنا للعلم ودراسة القرءآن.

السعة تذكّرنا بأمرين، الأوّل رمزي وهو سعة الروح والآخرة، لذلك نجد الأصل في الألبسة التقليدية السعة، وعلى العكس تماماً نجد الألبسة الحديثة تميل إلى الضيق، والسبب المعنوي لذلك هو أن اللباس الواسع يجعل الجسم شبه خفي فيه، أي لا يستشعر الإنسان جسمه ولا يبرزه للآخرين، فهو نوع من إخفاء الجسم عن الشعور وعن الغير بدرجة ما طبعاً، وهذا ملاحظ بالتجربة المباشرة، خلافاً للفكر المادّي الذي يرغب في إبراز الجسم ودوام تذكّره وجعله هو المحدد الأصلي لهوية الإنسان عند الآخرين. الأصل عندنا هو أن شخصيتنا عند الآخرين يجب أن تتحدد بناء على أفعالنا التي يشهدوها منا وعلى أقوالنا التي يسمعوها منّا، وليس بناء على شكل جسمنا ومدى جاذبيته من عدمها. وكذلك الحال بنحو أشدّ للمرأة، فإن سعة لباسها وسترها لجسمها وشعرها يجعل الرجل لا يتعامل معها بناء على انجذابها لها من حيث شهوته، لكن يتعامل معها بناء على ما يشهده من مظاهر روحها وعقلها وكلامها وفعلها. فجسم المال مثل مال الرجل أي إذا أظهره للجنس الآخر فقد يصبح الميل إليه بناء على المظهر لا الجوهر، وهذا تسطيح للإنسان وتعامل معه على أنه "شئ" وليس "شخص". فسعة اللباس التقليدي تعزز هذه المعاني. والأمر الآخر مادّي، فاللباس الواسع يعني أن الإنسان سيخفف من أعباء الدنيا عن كاهله، لأنه لن يضطر إلى تغيير لباسه كلّما تغيّر مقاس جسمه قليلاً، خلافاً للنزعة التجارية الاستهلاكية المادّية التي تريد جعل الإنسان يعيش في السوق كلّما تغيّر في جسمه شئ ليتناسب لباسه الضيق مع جسمه المتغيّر باستمرار. وهو من تبسيط المعيشة أيضاً كما هو واضح.

التغطية لها بُعد حماية من البيئة، وبُعد إظهار الجانب الخفي من الإنسان أي فعله وقوله إذ بتغطية الجسم أكثر يبرز العقل أكثر إذ لا يبقى للحكم على الإنسان المغطّي الجسم إلا فعله وقوله وهما المعيار الأعلى للحكم على الإنسان والتعامل معه بحسب جوهره. ويوجد بعد آخر وهو الذي أشارت إليه الآية رقم ٥٩ من سورة الأحزاب {ذلك أدنى أن يُعرَفن فلا يؤذَين}، فهو نوع من الحماية من الأذى القولي وحتى إلى حد ما الفعلي-وهذا سأذكره بعد قليل إن شاء الله حين الكلام على الآية الكريمة.

التشابه يعني تشابه الألبسة التقليدية عموماً بين مختلف طبقات الناس، كالثوب والعباءة مثلاً عندنا بحيث لا نستطيع أن نعرف عموماً "ماركة" الثوب والعباءة بسبب التشابه بينها كلّها. والغرض هنا رمزي ومادّي. فرمزياً يدلّ على وحدة الروح بين جميع الناس، كما قال الله {ونفخت فيه من روحي} فهي روح واحدة، و قال {إنما المؤمنون أخوة} فدلّ على التساوي بينهم. فيكشف تشابه لباسنا رمزياً على وحدتنا الروحية والمعنوية. ومادّياً فيه تسهيل وتبسيط للمعيشة، وفيه مراعاة لخواطر الأفقر والأضعف من الناس بأن لا يبرزوا بسبب لباسهم ، كما نجده بوضوح في المجتمعات الحداثية بحيث يمكن فوراً التمييز بين الناس طبقياً ومادّياً بناء على نوعية لباسهم

الظاهرة للعيان بشكل فاحش لا يحتاج عادة إلى تأمل، أمّا عندنا وإلى اليوم فرأس المجتمع قد يلبس لباساً لا يتميّز ظاهرياً عن أقلّ رجل-من الناحية المادية-في المجتمع. وهذا يختلف وبدأ يتغيّر من وجوه حتى عندنا. لكن الأصل لا يزال قائماً كما هو واضح.

هذه هي العوامل الأربعة الرئيسية التي تحددت على أساسها الألبسة التقليدية للرجال والنساء على السواء.

بعد هذه التمهيديات، تعالي ننظر في الآية.

بسم الله الرحمن الرحيم. {يأيها النبيّ ، قل لأزواجك وبناتك ونساَء المؤمنين ، يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ، ذلك أدنى أن يُعرَفن فلا يؤذَيْن ، وكان الله غفوراً رحيماً.}

أوّلاً، مَن المُخاطَب في الآية ؟ المخاطَب ثلاثة أصناف من النساَء. أزواج النبي، وبنات النبي، ونساَء المؤمنين. وهذا نصّ القرءآن. فإذن، القول بأن الآية مختصة بزوجات النبي غير صحيح. بل يدخل فيها بنات النبي ونساَء المؤمنين.

زوجات النبي وبناته ليس لنا كلام هنا عنهن، يبقى الصنف الثالث وهم {نساَء المؤمنين}. فالسؤال الأهمّ: لماذا لم يقل "والمؤمنات" ؟ لماذا قال {نساَء المؤمنين}؟ إن كان المقصود المؤمنات فكان ينبغي أن يقول "وبناتك والمؤمنات"، كما جاء في آيات أخرى في القرءآن "قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن"، فهنا خطاب للمؤمنات، كل المؤمنات. تأملي جيّداً هذا الأمر فهو جوهري لفهم الحكم الشرعي ولا يُلتَفَت إليه عادة. الآية تنصّ على أن الحكم بالإدناء مختصّ بثلاثة أصناف فقط، والصنف الثالث هو {نساَء المؤمنين}، فيجب إيجاد فرق بين هذا التعبير وبين "المؤمنات"، ثم يجب إيجاد فرق آخر بين نساء المؤمنين ونساء المسلمين، إذ يوجد فرق بين المؤمن والمسلم في القرءآن كما في قوله في نفس سورة الأحزاب "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات"، فالمؤمن أخصّ من المسلم وهو الذي يدخل الإيمان في قلبه ولم يسلّم لظاهر الأمر فقط كما قال في آية الأعراب "لا تقولوا ءامنا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم". فالآية لا تخاطب النساء عموماً، ولا تخاطب المؤمنات عموماً، ولا تخاطب إلا {نساَء المؤمنين}، لماذا؟

نساَء المؤمنين تعني النساَء التابعين للمؤمنين سواء كن أزواجهم أو مما ملكت أيمانهم حسب تعبير القرءآن "إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين". لذلك لم يقل "المؤمنات" عموماً، لأن المؤمنة قد تكون غير تابعة لا زوجة ولا غيره لمؤمن، فالآية لا تخاطبها مباشرة. إذا عرفنا هذا سنفهم شيئاً مهماً. {قل لأزواجك} من الواضح أن المخاطب هنا امرأة متزوجة، {وبناتك} بنات النبي كانوا في وقت نزول هذه الآيات متزوجات كلهن لأن الآية نزلت في المدينة كما هو ظاهر من سياق السورة بل موضع الآية يدلّ على أنها نزلت بعد معارك انتصر فيها المسلمون فحتّى بنته فاطمة رضي الله عنها كانت متزوجة في السنة الثانية من الهجرة. وفي هذا السياق نفهم {ونساَء المؤمنين} كذلك.

الخلاصة: الخطاب هنا ليس لأي امرأة، ولا حتى للمسلمة فقط، ولا للمؤمنة فقط، بل للمرأة التي لها زوج مؤمن {نساَء المؤمنين}. فالمفهوم أن هذا اللباس يميّز المتزوجة من غير المتزوجة، والمرتبطة من غير المرتبطة برجل، فتُعرَف بذلك {ذلك أدنى أن يُعرَفن} يعرفن بماذا؟ بأن لهن رجل، لهن زوج، غير حرة للارتباط برجل آخر. هذا وجه في فهم الآية.

ثانياً، هل الحكم في الآية إجباري؟ أي هل إدناء الجلابيب-أيا كان معناه-هو شئ يجب إجبار النساء المخاطبات في الآية بالقيام به أم هو شئ يُقال لهن ويُبيَّن لهن سببه حتى تقتنع الواحدة وتقوم به؟ بالرجوع لنصّ الآية يتبيّن أنه ليس حكماً إجبارياً بل هو اختياري مبني على الإيمان الاقتناع به. لذلك نجد الآية مقصورة على أزواج وبنات النبي ونساَء المؤمنين، ونجد الآية تبيّن سبب هذا الحكم الشرعي {ذلك أدنى أن يُعرَفن فلا يؤذَين} فالحكمة من الأمر راجعة للنساَء أنفسهن، لا للرجال ولا لأحد غير نفس المرأة المخاطبة. فهو حق ومصلحة للمرأة ذاتها، لا غير. فالآية تشير إلى وقوع أذية-ولو قولية. وتضع وسيلة تُقرِّب من قطع هذه الأذية، فاللباس هنا وسيلة تمييز لأزواج النبي وبناته ونساَء المؤمنين عن بقية النساَء، فهو وسيلة لتعريفهن بأنهن من هذه الأصناف الثلاثة، {ذلك أدنى أن يُعرَفن}، فإذا عُرفوا على أنهن من الأصناف الثلاثة المذكورة وصلنا إلى النتيجة المطلوبة وهي {فلا يؤذَين}. فليس المقصود بذلك عدم تأذي زوجها أو الناس عموماً أو أي غرض غير نفس المرأة، فهو حق لها وليس عليها، وهو اختياري مبني على قبول أمر النبي إيماناً وطلباً للمصلحة المذكورة في الآية وهي كفّ أذى مخصوص عنهن.

ثالثاً، بما أن سبب الحكم منصوص عليه وهو {فلا يؤذَين}، فيجب أن يدور الحكم مع حكمته المنصوصة. فالحالة التي نزلت فيها الآية كانت حالة يكون إدناء الجلابيب فيها وسيلة لعدم أذية النساء، فإن كانت الحالة موجودة فيجب إعمال هذا الحكم لتحصيل الغرض. لذلك نجد في آيات أخرى من القرءآن يبيح الله عدم اللباس بهذه الطريقة أمام أصناف من الناس لن يكونوا سبب لأذية المرأة عادة كما قال مثلاً "والقواعد من النساَء اللاتي لا يرجون نكاحاً فلا جناح عليهن أن يضعن ثيابهن". إذن، اللباس هنا يدور مع الأذى، كلما كان الأذى محتمل كلّما كان اللباس أستر، والعكس بالعكس. فاللباس هنا ليس مطلوباً لذاته، لكن هو وسيلة لغيره. وغايته هي كفّ أذى عن المرأة. وعلى ضوء هذا الأصل ينبغي رؤية المسألة في حدّها الأدنى على الأقلّ، أي في جانبها الاجتماعي الظاهري.

رابعاً، تصحيح لبعض المصطلحات للدقة. هذه الآية عادة ما يقال عنها "آية الحجاب". وهي تسمية غريبة وغير صحيحة. لأنه لم يُذكَر فيها الحجاب. فإن كان ولابد من تسميتها فهي آية الجلباب لقول الله {يدنين عليهنّ من جلابيبهن}. أمّا الحجاب فهو المذكور في الآية رقم ٥٣ من نفس سورة الأحزاب، "وإذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراَء حجاب" وهي التي نزلت في نساَء النبي وموضوعها بيوت النبي. فالحجاب هو شئ ثابت، لكن الجلباب هو شئ متحرك. أي الحجاب هو شئ مادّي بين المرأة والرجل، لكن الجلباب هو شئ مادّي يوضع على نفس جسم المرأة. فالحجاب منفصل عن المحجوب، لكن الجلباب متصل بالمتجلبب.

وبالنسبة للحجاب فقد ورد أيضاً مقيداً بظروف مخصوصة ويتعلّق بأشخاص لهم صفات معينة ومحتملة. وقد بين ذلك في نفس السورة. فقال لنساَء النبي "فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض". وقال في آية أخرى "ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن". فلنلاحظ مدار الحكم هنا، مداره حالة القلوب. فما كان أسلم للقلوب فهو المطلوب. الغرض ليس الحجاب بحد ذاته، الغرض سلامة القلوب. فكلّما كانت القلوب أمرض أو أدعى للمرض كلّما كان العمل بهذه الأحكام أوجب والتدقيق فيها أحمد عاقبة، والعكس بالعكس. ومن سياق الآيات سنجد تفاصيل أكثر تشير

إلى وجود رجال لهم أغراض آثمة ومؤذية للرسول كما قال في الآية ٥٣ بعد ذكر الحجاب "وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً"، فورود مثل هذه الجملة في سياق ذكر الحجاب يدلّ على أنه جاء علاجاً لمشكلة قائمة ومرض قلبي موجود عند بعض الرجال حينها. فهو دواء نزل لداء، وينبغي وضع الدواء على مثل الداء لا على ما سواه.

خامساً، القرءآن لم يحدد شكلاً معيناً للجلباب، ولا لوناً، ولا تفصيلاً لا يجوز سواه. بل ذكر الغاية منه وذكر لفظاً عامّاً لتطبقه كل امرأة بحسب ما يؤدي إلى الغاية المنصوص عليها. {يدنين عليهن من جلابيبهن} لماذا؟ {ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين}.

سادساً، الآية لم تقل "يدنين عليهنّ جلابيبهن"، لكن قالت {يدنين عليهن من جلابيبهن}، فلو كان المقصود التغطية الكاملة من الرأس إلى أسفل القدم مطلقاً بنحو يشمل كل جسم المرأة شمولاً تاماً لقال "يدنين عليهنّ جلابيبهن"، وليس كما وردت {يدنين عليهنّ من جلابيبهن}. فالمقصود الأصلي هو الإدناء بالنحو الذي يؤدي إلى الغرض المطلوب وهو كفّ الأذى عنها.

سابعاً، قد يرد سؤال مهم : بما أن الغرض هو كفّ الأذى عن المرأة ، كأذى التحرش مثلاً ولو بالقول، فهل يجوز اختراع أحكام أخرى تؤدي إلى هذا الكفّ ولو لم تكن أحكام لباس تجب على المرأة ذاتها؟ مثلاً عقوبات على المتحرشين لفظياً أو جسمانياً. ألن يكون هذا أفضل في بعض الحالات؟

توجد إشارة إلى إمكانية تشديد الحكم على المؤذين للنساَء في الآية التي بعد آية الجلباب. {لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً.}. فكأن الحكم الأول وضع كوسيلة ثم سننظر ماذا سيحدث وهل ستخفّ الأذية أم لا، فإن لم تخفّ سيتم تشديد الحكم بعقوبات أخرى. هذا يحتاج إلى نظر لكنّها إشارة قوية في الآية التي بعدها مباشرة.

من جهة أخرى، الأذى قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل. الأذى بالقول كما قال تعالى "لتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والمشركين أذى كثيراً، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور". فهنا الأذية هي قول سيسمعه المؤمنين والمؤمنات، والمأمور في هذه الحالة هو الصبر والتقوى، ولا يمكن في الواقع إيقاف جميع أنواع الأذية من هذا الصنف لأنه عملياً يستحيل مراقبة كل قول يصدر من كل شخص في كل موضع وكل وقت، لذلك يأتي التكليف على السامع نفسه بأن يغيّر من وضعه ويجعل نفسه أقلّ عرضة لسماع ذلك وعليه الصبر عليه، هذه هي القاعدة المعقولة التي ينبغي بناء السلوك عليها. أمّا الأذية بالفعل فعقوبتها العامّة هي "والجروح قصاص" و "العين بالعين"، بمعنى أنه يُعاقَب الفاعل بحسب فعله وما يتناسب مع فعله "جزاء سيئة سيئة مثلها" وتُقدَّر على هذا الأساس، ومع ذلك وللاحتراز ينبغي قيام الشخص خصوصاً المرأة بكل ما يمكن لإبعاد نفسها من التعرّض لهذه الأذية الفعلية، ولذلك أيضاً نفهم سبب {يدنين عليهن من جلابيبهن} لأنه حتى في البلاد التي فيها أشدّ العقوبات على الأذية الفعلية للمرأة، لا توجد رقابة مطلقة من كل وجه على كل إنسان دائماً، فمن الأسلم إذن والأدنى

للسلامة-وإن لم تكن السلامة واقعاً حتمياً دائماً لكنها مثل حزام الأمان في السيارة قد تلبس الحزام وتهلك في حادث مرور ومع ذلك الأسلم لبس حزام الأمان-كذلك الحال في {يدنين عليهن من جلابيبهن} في هذا السياق، فهو ليس حماية مطلقة لكنه قاعدة حكيمة ومعقولة وأقرب للسلامة. فسواء كان مطلوب المرأة لنفسها هو كفّ الأذى القولي أو الفعلي عنها، فقد أعطاها القرءان وسيلة لتقريبها من مطلوبها، مطلوبها هي وليس مطلوب أي أحد آخر. والتجربة خير شاهد لمن أراد أن يُشاهد.

بالنسبة لما ذكرتيه في رسالتك عن رأي الذين قالوا بأن الآية نزلت للتمييز بين الحرة والأمة. هذا القول مبني على روايات وليس-فيما أعلم-على آيات. نعم، توجد روايات تذكر هذا المعنى. لكن لا يجوز تقييد معنى الآية التي نصّت على الشئ بمعنى موجود في رواية تنصّ على شئ آخر. الآية هنا صريحة في ذكر العلّة من الأمر {ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين}. ولو كان المقصود هو تمييز الحرة من الأمة، لما خصص الله الخطاب بنساء وبنات النبي ونساء المؤمنين، بل لعممه في كل حرّة، ولقال مثلاً "قل لكل حرّة أن تدني عليها من جلبابها" أو شئ من هذا القبيل. فلو كان العنصر الحاسم هو حرية المرأة، فما الفائدة من إخفاء هذا العنصر تماماً عن الآية بل التصريح التفصيلي بغيرها {قل لأزواجك وبناتك ونساءَ المؤمنين}، لماذا هذا التفصيل الذي نادراً ما نجده في القرءآن، إن كان المقصود هو "كل حرة" وهو بحد ذاته منطق غريب عن طريقة وأحكام القرءآن. لذلك لا أقبل هذا المعنى كالمعنى الوحيد للآية، لهذا السبب. وسبب آخر، وهل الله تعالى سيضع حكماً يحمي الحرّة من الأذى ولا يحمي الأمة وقد تكون أمة مؤمنة ؟ هذا بحد ذاته أمر غريب جداً ولا أدري كيف يقبله مَن يعرف الرحمن الرحيم وقرأ القرءآن الحكيم. فكأنهم يقولون: كان رجال يتحرشون بالمؤمنة الحرّة والمؤمنة المستعبدة، فنزل الحكم لحماية الحرّة القوية وترك المستعبدة الضعيفة ! هذا منطق غريب جداً ولا أعرف له مرجعاً في كتاب الله. فهل يجوز-بناء على ذلك الرأي الغريب-أن تُترَك امرأة مملوكة للتحرش حتى وهي تابعة للنبي أو تابعة لصحابي مثلاً ؟! ثم ما الذنب الذي ارتكبته المرأة غير الحرة حتى يتم تمييز أختها في الإنسانية بل حتى في الإسلام والإيمان عنها فقط لأن هذه "حرة"، ونحن لا نعرف الله في القرءآن إلا يقوي من الضعيف ويرحمه ويرفعه ولا يزيده قهراً بغير ذنب ارتكبه ولا جرم اقترفه. هذه أدلة تجعلني لا أقبل دعوى كون العلّة في الحكم بإدناء الجلابيب راجع إلى التمييز بين الحرة والأمة.

الخلاصة :

١-اللباس له قيمة رمزية وقيمة مادّية. قيمته الرمزية تنفع النفس والعقل، وقيمته المادّية تحمي الجسم في البيئة وفي المجتمع.

٢-آية الجلباب تتضمّن أمر للمرأة وليس عليها، أمر جاء من أجلها وهي صاحبته، والغرض من هذا الأمر هو إبعاد أسباب الأذية عنها قدر المستطاع بحسب الظروف الخاصّة بها. فكلّما قلّ احتمال الأذى مال الأمر للتخفيف، وكلما زاد احتمال الأذى مال الأمر للتشديد، وعلى الواحد تقدير واقعه بنفسه وببصيرة نافذة ووعي مستيقظ.

والله يحرسنا جميعاً ويرحم ضعفنا ويجبر كسرنا بلطفه وعنايته. والحمد لله رب العالمين.

...
يقول اليسوعي عن الله "أبانا". لو كان أبانا، لكنت أنا خير منه في الأبوة. بل هو ربّنا.

{نحن أبناء الله وأحباؤه} أبناء نسل ظاهري، أحبّاء نسل باطني. فاليهود أقرب للجسمانية، وزعموا بأن لأجسامهم وأعراقهم وأبدانهم خاصّية إلهية، والنصارى أقرب للنفسانية، وزعموا بأن لإرادتهم ونفوسهم وأذهانهم خاصّية إلهية. لم يقولوا أن الله يحبّهم وهم يحبّونه، لكنهم قالوا {أحباؤه} بالاسمية المشيرة إلى الذات. فيعتقدون بأن لذواتهم خاصّية إلهية وهي لهم حصراً، كما أن اليهود ادعوا بأن لأجسامهم وعرقهم خاصّية إلهية وهي لهم وحدهم. كفّار في كفّار. {فلم يعذّبكم بذنوبكم}، الأب الغني القدير لا يعذّب ابنه، والمحبّ المتّحد بمحبوبه لا يصدر عنه أصلاً ما يخالف محبوبه بسبب الاتحاد الذاتي أو الإرادي القائم بينهما. وجود الذنوب دليل وجود الفرق بين العبد والرب، ووجود التعذيب دليل وجود قهر الرب للعبد. {بل أنتم بشر ممن خلق}، فأجسامكم بشرية كالبقية، ونفوسكم مخلوقة كالبقية. فلا خاصّية لا لأجسامكم ولا لنفوسكم. أجسامكم تراب، ونفوسكم لابد من أن تُسلم إرادتها لإرادة الله الظاهرة بوحيه وشرعه مما يدلّ على وجود الفرق بين إرادتكم وإرادته تعالى. الإسلام هو الحق لا غير، وهو الذي يشهد به السلوك العملي وكثير من الإقرارات عند جميع الكفّار.

...
الدار بالإيمان، والدرجة بالأعمال، والشفاعة في الدرجة لا الدار.
لذلك الكفّار {لا تنفعهم شفاعة الشافعين}، لكن المؤمن والمسلم تنفعه شفاعة الشافعين، ولو كانت ليس ثمّة شفاعة لما أثبت وجود الشافعين أصلاً ولما نفى نفع الشفاعة للبعض إن كان الكل لا ينتفع بشفاعة أصلاً.

...
الأمور الإلهية تُعامَل معاملة الله. فالآخرة لأنها مظهر ملك الله المباشر والمطلق حيث "الأمر يومئذ لله"، تعامَل الآخرة معاملة الله ذاته فيقول القرءآن {كلا بل لا يخافون الآخرة}، مع أن الخوف لابد أن يكون من الله فقط "ولم يخش أحداً إلا الله" و "يخافون ربّهم". وهكذا كل أمر إلهي ومن الله ومن لدن الله يعامَل كأنه الله لأنه مجلى الله.

...
أُحبّ العقوبة المُعجَّلة-وإن لم أسألها-لأنها رحمة مؤَجَّلة إن صاحبتها توبة عاجلة.

...
حين تعصي الله في شئ، ثم تنبني أمور سيئة على ذلك العصيان، لا يجوز لك أن تتعامل مع تلك الأمور باستقلال عن الأصل الذي تفرعت عنه، فإنّك بذلك تعاملها كحوادث مستقلة بدلاً من رؤيتها كإنذارات متكررة تحثّك على التوبة.

...
لو كنت أعمل بكل ما أقوله، لكنت فوق الفوق بفوق كثير. عقلي سابق لنفسي، لأن عقلي مع الوحي، فيأخذ منه ويعبّر عنه. لكن نفسي بعد ذلك تجاهد للحاق بعقلي، وعقلي يجاهد في تحريك نفسي وجعلها تتمثّل به. أن تنظر في أقوالي ثم تقول "لكنك لا تفعل هذا" دليل أنك غبي. بعض أقوالي أعمل به، وبعضه أقوله كتجربة فكرية، وبعضه أقوله كتقرير لحجّة خصم محتمل، وبعضه أقوله كهدف عال أصبو إليه، وبعضه كنت أعمل به لكني تركته مع علمي واعتقادي منفعته

فهو من الخير الذي يوجد خير مثله أو أحسن منه فأذكره لمن يحتاجه ولم هو في درجة تناسبه، وهكذا. أقوالي أوسع من أحوالي وإيماني وأعمالي.

...

من فضل الله عليّ : حتى الذين أؤذيهم ليس لهم عليّ حجّة تامّة. ومع ذلك أبادر إلى التوبة والمصالحة في معظم الأحيان إن لم يكن كلّها وهذا هو الفضل العظيم.

...

لا قيمة للحياة بدون حرية، ولا قيمة للحرية بدون حياة. أموات الروح يطلبون العبودية كما يطلب الذباب المزبلة ولهم في ذلك مآرب شتّى ونِعَم كبرى.

...

كلّما دققت في استعباد الإنسان للإنسان، وجدت أن العبيد هم الذين يستعبدون سيدهم، من حيث لا يشعر ولا يشعرون. فإنهم يرتاحون من الاختيار، ويرتاحون من المسؤولية، ويرتاحون من التفكير في المصير والمشاكل والعواقب، ويوكلون كل ذلك لسيدهم. هذه هي الشهوة الخفية في نفوس المستعبدين والقابلين له (حتى الذين يبررون رفضهم بحجج العجز ولا يغيّرون شيئاً فعلياً).

...

قال موسى {أن أدُّوا إليّ عباد الله}، عباد الله وليس عبيد الله. العبيد تركهم عند فرعون، العباد أخذهم معه حين أسرى. فأوّل فرقان كان بين العبيد والعباد. ثم حصل فرقان آخر عند العجل بين العباد أنفسهم، فافترقوا إلى أصحاب التعجيل وأصحاب التأجيل.

كذلك الحال في الأمّة المحمدية. أوّل فرقان بين طلّاب الدين عن إكراه وشهوة، وطلابه عن طاعة وإرادة. والفرقان الثاني بين الذين يقرأون القرءآن يتعجلّونه أو يتأجلونه-حسب عبارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

...

ابتلاء عظيم : أن لا توجد الحرية إلا وسط قوم معاشرتهم تُظلِم القلب وتميت الروح.

...

لماذا سمّى الله قوم فرعون باسم "فرعون" وحده في بعض الآيات؟ بسبب قول فرعون المطبّق واقعياً في قومه {ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد}، فقيمة الإنسان في نفسه، ونفسه فيها عقل وإرادة، وهو عند الله بحسب عقله وإرادته لا غير وليس بحسب جسمه، "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم" أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا كان فرعون هو صاحب الرأي الوحيد {ما أريكم إلا ما أرى} وكانت عقولهم كلّها تابعة لرأيه، صاروا كأنّهم بلا عقول والعقل عقل فرعون فقط. ولمّا كان فرعون هو صاحب الإرادة الوحيد {وما أهديكم إلا سبيل الرشاد} وكانت إراداتهم كلها تابعة لإرادته، صاروا كأنهم بلا إرادات والإرادة إرادة فرعون فقط. فكأنهم عدم وفرعون هو الموجود. فسمّى الله الأمر بحسب وجهه الوجودي لا العدمي، فاعتبر القوم كلّهم هم "فرعون"، كما في قوله {ولقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المهين. من فرعون} وغيرها من الآيات. أنت بحسب عقلك وإرادتك، أنت عقلك وإرادتك، فقيمتك لا تتعدى قيمة رأيك واختيارك وبناء عليهما يكون اسمك وبحسب اسمك تكون درجتك أو دركتك عند الله تعالى.

...

يفخر بنو إسرائيل بأن الله اختارهم {ولقد اخترناهم على علم على العالمين}، ولو علموا سبب الاختيار لما افتخروا به. اختارهم لأنهم أظلم الناس، لأن الله نور ونوره يشعّ في الظلمات، فكلّما كان المختار أكثر ظلمة كلّما كانت قابليته لإظهار نور الله أكبر، فيختاره ليجعله عبرة للناس وكأنّه يقول لهم "إذا كان هذا السافل تغيّر إلى الأحسن، فأقبِلوا إليّ لأجعلكم أحسن". فلا يحتقر إنسان نفسه بعد ذلك ويخشى من الإقبال على الله ويرى في نفسه حقاره تمنعه من الاقتراب من الله تعالى. الله لا يختار بناء على الفضيلة، لأن الفضل كلّه بيد الله ومن الله، لكنه يختار بناء على السفالة، السفالة القابلة للفضيلة. وكلّما أراد إظهار فضيلة أعظم اختار أصحاب سفالة أعظم، من هنا كان الفضل الأعظم الذي هو القرءان مُقدَّراً لأمّة فيها مَن هم {أشدّ كفراً ونفاقاً}، فتقدّموا الأمم كلّها في الكفر، وتقدّموا الأمم كلّها في النفاق، فلم يُبقوا شيئاً من الدرك الأعلى أو الدرك الأسفل من النار إلا وحازوا قصب السبق فيه، فأنعم عليهم بالقرءآن لذلك، فلمّا غيّرهم وجعلهم من أئمة الأمم ومعلّمي الأرض وفاتحي المشارق والمغارب، كان ذلك آية عظيمة لقدرة الله ونوره وكلمته.

...

{فإن للذين ظلموا ذَنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون. فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون.}. كلّها أخبار إلا قوله {فلا يستعجلون} فإنها نهي عن استعجال الله في إنزال العذاب بهم، وصورتها صورة النهي. فالآية الأولى جعلت الاستعجال هو وقوع العذاب الموعود بهم في الدنيا، والآية الأخيرة جعلت العذاب في يوم موعود وهو القيامة كما في آيات أخرى نصّاً. إذن، الاستعجال هو طلب حصول الوعد في الدنيا ظاهراً، على طريقة "يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون". فوقوع شئ من معاني الآخرة في باطن الدنيا ليس استعجالاً، بل هو من كشف الحجب والشهود ورؤية ملكوت السموات والأرض ومن الرؤيا والحق والتعليم الإلهي، وقد بيّن القرءآن أمثلة كثيرة على كل ذلك. وانتظار ظهور الأمر في الآخرة الكبرى حيث يقع ظاهراً وباطناً على السواء، بالتأكيد ليس من الاستعجال. فلم يبقَ الاستعجال إلا وقوع العذاب الظاهر في ظاهر الحيوة الدنيا. ويعزز هذا قوله {ذَنوباً مثل ذنوب أصحابهم} وأصحابهم هم الذين عملوا هم مثل أعمالهم وهم الأقوام السابقة التي ذكرتها سورة الذاريات نفسها كقوم لوط وفرعون وعاد وثمود ونوح، وهؤلاء كلّهم ذكر القرءآن عقوبات ظاهرة في الدنيا لهم، فلوط أرسل عليهم حجارة وجعل عاليها سافلها، وفرعون أغرقهم، وعاد أرسل عليهم الريح وجعل كل شئ كالرميم، وثمود بالصعقة فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين، ونوح بالطوفان الظاهر. إذن الاستعجال هو طلب وقوع هذه العقوبات عليهم في ظاهر الدنيا بسبب كفرهم. ولهذا قال {فلا يستعجلون} أي سيقع عليكم مثل ما وقع بهم {ذنوباً مثل} إن قاموا بمثل عملهم من كل وجه، لكن ما سيقع عليهم ليس عين ذلك لكنه {مثل} فيتضمّن نفس الجوهر لكن قد يختلف مظهره، أو قد يؤجلهم للآخرة بسبب توفّر شروط خاصّة لهم مثل "ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم"، وقد كان فيهم أيضاً "رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم" وهؤلاء هم امتدادات للرسول في مكّة وفيهم سرّ الإيمان الذي في الرسول وبه انضمّوا إليه في قوله تعالى "ءآمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون"، فلما ذكرهم باسم الإيمان في "لولا رجال مؤمنون" ولم يقل "مسلمون"، علمنا أن خاصّية الرسول الإيمانية كانت فيهم أيضاً، وبها انطبق المعنى الأوسع لقوله "ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم"، فالحاصل أن الشروط لم تتوفّر كاملة كما توفّرت في الأقوام السابقة التي ضُربَ بها المثل. والذين ظلموا أرادوا أن يحلّ عليهم العقاب عاجلاً كما طلبوا من الرسول مراراً

"ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين" ونحو ذلك "أو تسقط السماء-كما زعمت-علينا كِسَفاً". فجاء النهي الإلهي {فلا يستعجلون} أي سيأتيكم ما تسألون فلا تستعجلون كما جاء في نفس السورة الآية ١٤ "ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون" وذلك في نار الآخرة. فنهاهم عن الاستعجال في الدنيا. فهل هذا النهي من متن الشريعة القرءآنية ؟ قد ندخله من حيث أن لكل إنسان ظلم ما، فهو نهي عن استعجال وقوع العقوبة به. وقد نخرجه لأنه خطاب للكفار الموعودين بالنار وهؤلاء ليسوا من المؤمنين.

لكن القراءة الأدقّ هي أن النهي موجّه للمؤمنين وليس للذين ظلموا. أي الله ينهى الذين ظلموا أن يستعجلوا الله في إنزال العذاب بالذين ظلموا. اقرأ الآية {وإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون}، ولم يقل: وإن لكم يأيها الذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابكم فلا تستعجلون. فيحتمل أن النهي غير موجه للذين ظلموا الذين تتكلّم الآية عنهم. فلم يبقَ إلا أنها نهي للمؤمنين حتى لا يستعجلوا تعذيب الله في ظاهر الدنيا أو حتى التعذيب عموماً للذين ظلموا بل يؤجلون ذلك إلى أجل الله تعالى. ولذلك سندخلها بحمد الله في متن الشريعة القرءآنية. باختصار، يحتمل {فلا يستعجلون} أن تكون نهياً صريحاً للمؤمنين، أو نهياً مجازياً للكافرين، وحمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز، وحمل الكلام على الفائدة أولى من حمله على عدم الفائدة، ولذلك سنعتبره نهياً للمؤمنين وفيه فائدة كبيرة كما بيّنا والحمد لله. وتوجد قرائن على هذا المعنى مثل قول الرسول والذين ءآمنوا {متى نصر الله}، أو قوله على النزعة الإنسانية في الاستعجال بالشر أو الدعاء بالشرّ ونحو ذلك، ومما هو أصرح في الباب النهي في قوله"أتى أمر الله فلا تستعجلوه" وهو نظير ما فهمناه هنا. ولا يصح نهي الكافرين عن الاستعجال عن إتيان العقاب، لأنهم يطلبون تعجيل العقوبة إثباتاً لعقيدتهم في كذب الرسول على الله تعالى كما قوله "تسقط السماء كما زعمت علينا"، لاحظ "كما زعمت". ووجه آخر لا يصح به نهي الكافرين عن الاستعجال هو تكذيبهم بأخبار الأقوام الماضين "لا تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا"، وحيث أنهم لا يصدّقون ب"هذا" فهم لا يصدّقون بالأخبار عن الماضين والأمثال المضروبة بهم من الأساس. ووجه ثالث أنهم يكفرون بالرسول بالتالي لا يصدّقون أن النهي "فلا يستعجلون" من الله أصلاً، فلن يطيعوه. لكل ذلك وغيره سنحمل النهي على الاحتمال الآخر ونضمّها للفائدة في متن الشريعة القرءآنية بإذن الله. والحمد لله.

...

الصمت للكلام حياة، وإلا فموت.

...

الفصاحة : قدرتك عن التعبير عن نفسك بحيث إذا نظرت في العبارة وجدت كل ما في نفسك قد عبّرت عنه بها.

البلاغة : قدرتك على التعبير عن نفسك لغيرك بحيث إذا استفهمته عن ما فهم من عبارتك وجدت كل ما أردت إيصاله من الأخبار والأوامر قد وصله.

...

أربع أنات من كسرها فقد أشرك.

{أنا ربّك فاخلع} كسرها يكون بإعطاء سلطة الأوامر الدينية الذاتية لغير الله ومن دون الله.

{أنا اخترتك فاستمع} كسرها يكون بإعطاء سلطة تقرير مصيرك ووظيفتك في الوجود لغير الله ومن دون الله.
{أنا الله} كسرها يكون باعتقاد وجود ذات للوجود المطلق المحيط الجامع للكمالات الحقة التامة لغير الله تعالى.
{لا إله إلا أنا} كسرها يكون باعتقاد أنك بلا حدود وغير مقيّد بأي حد عقلي أو إرادتي.

...

{فاخلع نعليك} طهارة الظاهر، {فاستمع لما يوحى} طهارة الباطن. فلمّا تمّ له الأمران جاء الوحي. فالاستعداد قبل الإمداد.

...

{فاعبدني وأقم الصلاة ذكري}، العبادة دعاء والدعاء حصول شئ من الله للعبد، والذكر استحضار حقيقة الله في العبد. فالعبادة إرادة، والذكر فكر.

...

أعلى حقيقة يمكن للعقل معرفتها هي {إنني أنا الله لا إله إلا أنا}، وأعلى حقيقة يهمّ النفس معرفتها {إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى}، وأعلى عمل صالح يمكن للإرادة تحقيقه {فاعبدني وأقم الصلاة لذكري} وهو العمل بإيجاد شئ، و{لا يصدّنك عنها مَن لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى} وهو العمل بعدم إيجاد شئ. هذه خلاصة الوحي الإلهي لموسى، ولكل نبي ورسول وولي بالروح أو بالعقول.

...

يسمع الوحي المختار والمصروف والملعون، ولكن لا يستمع للوحي إلا المختار. {وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى}.

...

لو كان معيار قوّة العقل وعلو الروح هو الحالة المعيشية للإنسان، لكان الكل ضعفاء وسفلة، إذ الأمور بخواتيمها، وخاتمة كل مَن عليها هي الفناء والقبر. المعيشة ليست معياراً لبواطن الناس، فمن أصحاب الباطن المشترك توجد معائش مختلفة، وقد يختلف حال اثنان في الباطن اختلاف تضاد ومع ذلك تتحد بشكل عام أو تفصيلي إلى حد كبير معايشهم في السعة أو الضيق والاسقرار أو الاضطراب وحسن الميتة أو قبحها. الحالة المعيشية لا تدلّ على الحقيقة الباطنية والدرجة المعرفية والمنزلة الإلهية.

...

من ترك العلم فقد ترك الله. {بل اتبع الذين ظلموا أهواءكم بغير علم، فمَن يهدي مَن أضلّ الله، وما لهم من ناصرين}. فحيث يوجد العلم، يوجد الله.

...

مَن لا يشهد نفسه ويبصرها وما يحدث فيها، لا يؤمن بالآخرة. فالجسمانية والحسّية والمادّية هي الصدّ عن سبيل الله. ومَن استبصر في نفسه وأبصرها، وعرف تأويل آيات القرءآن، شهد كل آيات الجنّة والنار في النفوس، فعرف حقيقتها وقال "جاءت رسل ربّنا بالحق" قبل كشف غطاء الطبيعة بالقيامة الكبرى.

...

قد يؤَمَر الرسول وتؤَمَر الأمّة كلّها معه بنفس الأمر الذي جاء له. ومن ذلك قوله {فأَقم وجهك للدين حنيفاً...منيبين إليه واتقوه..}فبدأ بالمفرد {فأقم}، وأكمل بالجمع {منيبين إليه واتقوه} وليس "منيباً إليه واتقه".

...

الآية ٣١ من سورة الروح فيها ثلاث أوامر، أمران ونهي، لا أربعة. فقوله {منيبين إليه} تابع لأمر {أقم وجهك للدين حنيفاً}، فهو اسم حالة لوضع إقامة الوجه، أقمه منيباً إليه في إقامتك له. وهذا مفهوم من اللغة، ويشهد له ما ورد في الاية ٣٣ "وإذا مسّ الناس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه"، فالدعاء عمل تمّ في حالة إنابة إليه.

...

في متن الشريعة القرءآنية ، لم نعدّ كل الأوامر التي داخل {قل}، فقد نذكر {قل} وحدها، وإن كان داخلها أوامر شرعية أيضاً. مثل {قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل}، فيوجد أمر ب{قل}، وداخله يوجد أمران، الأول {سيروا}، والثاني {فانظروا}. وليس ضرورياً في المتن المختصر الذي نكتبه كبداية لبحث أكثر تفصيلاً وكمرجع للبحث المفصّل، ليس ضرورياً وضع ما هو داخل قل كأوامر منفصلة دائماً، لأن ما بعد قل هو أمر من الرسول، وأمر الرسول واجب الطاعة لقول الله كمبدأ عام "ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله" و "أطيعوا الرسول". فما بعد {قل} في القرءآن هي الأحاديث النبوية التي رواها الله تعالى وبلّغها رسوله. وهي الأحاديث التي أعرض عنها أكثر الناس، وذهبوا إلى مرويات أخرى في كتب فيها ما فيها وعليها ما عليها. فيمكن إقامة بحث خاصّ داخل {قل} لتفصيل الأوامر التي فيها. وهذا ما سنقوم به إن شاء الله في مرحلة قادمة.

مثلاً، الآية ٣١ من سورة النور تبدأ ب{قل}. لكن داخلها أربعة أوامر وثلاثة نواهي. وعلى هذا القياس في بقية آيات قل. فيمكن كتابة تحت كل عدد من {قل} أعداد فرعية تفصّل الأوامر والنواهي داخل الآية. فيقال مثلاً :

٣٣٦-قل.

١)يغضضن. ٢)يحفظن. ٣)لا يبدين. ٤)ليضربن. ٥)لا يبدين. ٦)لا يضربن. ٧)توبوا.

وعلى هذا النمط يجب إعادة النظر في كل مواضع "قل" من متن الشريعة القرءآنية، وتفصيلها تحتها. لكن هذه في مرحلة قادمة إن شاء الله كما ذكرنا، فنحن الآن في المرحلة الأولى الاستكشافية والاستقرائية التي كان ينبغي أن يكون قد قام بها العلماء من أكثر من ألف وأربعمائة سنة، لكن الحمد لله الذي ترك للآخر شيئاً حتى لا يظن الأوّل أو أتباع الأول أن الآخر عاطل من نعم الله والعلم بكتابه وخدمة دينه.

...

{إن يتبعون إلا الظنّ} روايات الآحاد والقياس، {ما وجدنا عليه آباءنا} الإجماع، {وما تهوى الأنفس} المصالح المرسلة والاستحسان والعادة والاستصحاب. {ولقد جاءهم من ربّهم الهدى} كتاب الله.

...

الذين يزعمون بأن طلب الشفاعة شرك وهو من جعل الوسائط بينك وبين الله المنهي عنه في القرءآن، لم يفقهوا القرءآن وقد حرفوه لغرض خبيث في أنفسهم. فإن الله قال {وكم من مَلك في

السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشآء ويرضى} فالشفاعة التي أبطلها هي هذه لا غير، أي الاعتقاد بأن شفيعاً يغني شيئاً بغض النظر عن إذن الله وبغض النظر عن رضاه، أي الاعتقاد بأن الشفيع ينفع بشفاعته استقلالاً عن الله. أما الإيمان بالشفاعة فهو أمر قرءآني منصوص عليه في آيات كثيرة ومنها هذه، وهي الشفاعة الحقّة. وهذا مما قام به خوارج زماننا، أخذوا آيات نزلت في المشركين وشفاعتهم الباطلة وأنزلوها على المؤمنين وشفاعتهم الحقّة. فشفاعة الملائكة من بعد أن يأذن الله ويرضى هي شفاعة حقّة تغني شيئاً. وقس على ذلك باقي هراء الخوارج (ملحوظة: وأنا أكتب كلمة هراء الخوارج وقع إصبعي على الخاء بجانب الهاء، فصححته بالهاء، علماً بأن قراءة الكلمة بالخاء أيضاً صحيحة المعنى).

...
حقيقة الإنسان في نفسه لا جسمه. لذلك قال {لتجزى كل نفس بما تسعى} وقال {ليس للإنسان إلا ما سعى}. فالإنسان هو النفس على الحقيقة.

...
{اجتنبوا كثيراً من الظنّ} لكن لا تجتنبوا بعضه، ومن هذا البعض المأمور به قوله {ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً}.

...
ظنّ وقالوا وقلتم وأن تعودوا، ثلاثة أوامر ونهي، من قصّة الإفك في سورة النور. ذكرت هذه الأربعة في متن الشريعة القرءآنية، وإن كنت قد شككت في وضوح الأمر والنهي فيها من حيث صريح اللفظ وليس من حيث المفهوم. وسبب شكّي يرجع إلى أن كلام الله فيها هو عن حادثة مضت وانقضت، وهو تعليق على ما كان ينبغي عمله حينها، والكلام عن الماضي بحد ذاته ليس أمراً للحاضر والمستقبل، لا أقلّ من حيث حرفية الكلام. فقوله {لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً}، تعليق على شئ حدث ولا يمكن استدراك ذاته التي فنيت، وهكذا الحال في قالوا وقلتم بعدها. لكن قوله في الآية ١٧ {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين} يدل على أن لتلك الحادثة الفانية أمثال ستقع، وحين تقع يجب التصرّف فيها بنحو معين وعدم التصرّف بنحو آخر، أي يوجد أمر يجب فعله ونهي يجب تركه. وحرف {أن} في {أن تعودوا} يحتمل أنه نفي أو تفسير أو غير ذلك. فلو قلنا أنه تفسير، يصبح المعنى {يعظكم الله} لماذا؟ حتى لا تعودوا إلى مثله أبداً. أي موعظة الله في الآيات السابقة لها غاية، وهذه الغاية هي أن لا تعودوا لمثله أبداً. وبذلك يجتمع معنى النفي في الحرف مع التفسير، فتصبح {أن تعودوا} بمعنى : لا تعودوا، أي تصبح نهياً عن العود إلى مثل ما قصّه الله في الآيات السابقة. بالتالي لابد من تمييز ما يجب عمله مما يجب تركه حين يقع مثل ما وقع في قصّة الإفك، ولهذا الوجه حملت الكلمات على أنها أمر ونهي للمستقبل، فأدخلتها بعد تفكير وقراءة واستخارة قلبية في كتاب متن الشريعة القرءآنية.

...
{لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتُسلِّموا على أهلها}. النهي {لا تدخلوا}، فهل {تستأنسوا وتسلّموا} من الأوامر في الآية أم أنها من الشروط الداخلة تحت النهي الأول ولا حاجة لفصلهما عن النهي؟

ترتيب العمل بالآية يكون هكذا : أوّلاً الاستئناس، ثانياً التسليم على أهل البيت، ثالثاً دخول البيت.

الآية لم تأت على هذا الترتيب بأن أمرت بالاستئناس وحده، ثم أمرت بالتسليم وحده، ثم أجازت الدخول وحده. فلذلك لا أميل إلى اعتبار الاستئناس والتسليم كأوامر منفصلة. أميل إلى اعتبارها شروطاً لمن يريد دخول بيت غير بيته. فلا يوجد أمر بدخول بيت غير بيتك، فقد تعيش طول حياتك إن شئت بدون دخول بيت أحد من الناس. لذلك الآية جاءت بصيغتها {لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى} أي إن شئتم دخول بيوت غير بيوتكم، فعليكم بالاستئناس والتسليم على أهلها قبل الدخول. فهي شروط لإجازة الدخول. أي الأصل هو عدم جواز دخول بيت غير بيتك. لكن يتحوّل عدم الجواز إلى جواز بواسطة شرطين، الاستئناس والتسليم. لذلك لن نعتبر في الآية إلا النهي الصريح {لا تدخلوا}. وفي شرح النهي بعد ذلك أثناء دراسته يصبح مثله مثل بقية الأوامر والنواهي في متن الشريعة يتم تفصيل الأحوال والشروط وما سوى ذلك من تفاصيل.

...

٣٣ آية من أوّل آيات النور تتحدّث عن أوضا ع دنيوية، فلمّا نزل ونزل ونزل في الكلام على شؤون الدنيا، أوقف الكلام براحة روحية عند الآية ٣٤، ثم طار إلى الأفق الأعلى الأقدس في الآية ٣٥ وما بعدها. من اتبع الله، فإن نزوله رحمة وبعده صعود إلى القمّة. "الله ولي الذين ءآمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور"، من ظلمات التعامل الدنيوي، إلى نور التعقل الإلهي.

...

{ويقولون ءآمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين.}
فصلوا الرسول عن الله بالباء، ففصلهم الله عن الإيمان.

...

نزلت سورة النور بحسب قول علماء التفسير في المدينة، ويشهد لها ما فيها. حسناً، فقد قال الله فيها {قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن تولّوا فإنّما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم، وإن تطيعوه تهتدوا، وما على الرسول إلا البلاغ المبين}. فأين تجدون في هذه الآية أن الرسول بعد الهجرة إلى المدينة ووجود الأنصار-ويقول البعض بأن سورة النور نزلت في العام الخامس من الهجرة-فأين تجدون أن الله أجاز لرسوله إكراه الناس على الخضوع لأمره، أو "طاعته"، ها هي الآية صريحة في أن الطاعة اختيارية، وهو اسمها، "طاعة"، من الطواعية والاختيار الحر. وما على الرسول إلا البلاغ المبين، حتى في المدينة وعنده آلاف المقاتلين تحت أمره. الرسالة لا تتغيّر لا في مكّة ولا في المدينة. نعم، قد يصبر على تحقيق العدالة بسبب العجز، لكن القدرة على تحقيق العدالة شئ غير تغيير طبيعة الرسالة. من العدل أن لا يُكرَه إنسان على دينه، ولا يقاتل من أجل كلامه. وقع الظلم على النبي والمؤمنين في ذلك بمكّة، هذا ظلم في مكّة وظلم في المدينة وظلم في كل مكان. فكان عاجزاً من حيث الأسباب الظاهرة التي بُعث بها عن تحقيق العدل لنفسه وأتباعه في مكّة، فأذن لهم في القتال بعد إخراجهم من مكّة ظلماً وعدواناً فوق الظلم والعدوان الذي وقع عليهم بسبب دينهم وكلامهم واجتماعهم في مكّة على الدين مع الرسول. ولم يكن للرسول لا في مكّة ولا في المدينة أن يُكره أحداً على طاعته، وما كان هذا ليكون ديناً ولا طاعة أصلاً، ولا قال الله بذلك ولا غيّره لا قبل ولا بعد، وكتاب الله أكبر شاهد على هذا الأمر.

...

"قال الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده"، أصلها في القرءان {فإذا دخلتم بيوتكم فسلّموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون}. فأنت تسلم على نفسك، لكنها تحية من عند الله، فالله هو الذي قال على لسانك لنفسك السلام. فاعقل، أي اعلم أنك مربوط بالله، معقول به، فما يظهر عليك من مظاهر الكمال كالسلام-وهو السلام تعالى- هو فعله فيك بك عليك، فكل فعل كمالي في الوجود فهو فعل الله تعالى، وكل عمل مبني على الشريعة والطريقة فهو عمل الله تعالى.

...

لفظ التوصية هل يدخل في الشريعة ؟ مثل {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا}؟ صورة العبارة خبرية، خلافاً لصيغة {يوصيكم الله في أموالكم للذكر مثل حظ الأنثيين} ثم أوعد على مخالفة ذلك بالنار "ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا" وعبّر عنها أيضاً في نفس آيات الميراث ب"فريضة من الله". فالوصية والفريضة من أوامر الله، لذلك مخالفتها تكون عصياناً كما قال "ومن يعصِ الله"، وقال قبلها "تلك حدود الله". فهذه عبارات ثلاث تابعة لأوامر الشريعة، أي الوصية والفريضة والحدود. على هذا الأساس سندخل إن شاء الله كل ما يتبعها من أمور في متن الشريعة القرءآنية.

ويكون {ووصينا الإنسان} بمعنى : وصّينا كل إنسان، الإنسان مطلقاً، جنس الإنسان. لذلك جاء في نفس الآية بعدها التفات من الإنسان كجنس عام والإنسان الذي هو المؤمن المكلّف بهذا القرءآن {ووصينا الإنسان بوالديه حسناً، وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، إليّ مرجعكم جميعاً فأنبئكم بما كنتم تعملون.} لاحظ ذكر جميع الناس في قوله {إلي مرجعكم جميعاً} وذكر الحساب الذي هو "يوم يقوم الناس لربّ العالمين" و "جمعناكم والأولين". كل هذه القرائن تدلّ على أن {ووصينا الإنسان} بمعنى ورود الوصية الإلهية لكل إنسان مطلقاً بذلك، ويدخل في ذلك الرسول والمؤمنين معه بهذا القرءآن.

...

الآية ٢٠ من سورة العنكبوت {قل سيروا في الأرض} هل هي من كلام إبراهيم لقومه بدليل ورود هذه الآية وما يتبعها خلال دعوة إبراهيم قومه إلى الآية ٢٣ ثم الآية ٢٤ تقول {فما كان جواب قومه}. سياق الكلام بشكل عام يدلّ على أن الكلام لإبراهيم، لكن يحتمل أن تكون القصّة قد وقفت وجاء تعليق إلهي لمحمد ثم استئنف قصّة إبراهيم، وهي طريقة غير غريبة عن القرءآن. ويعزز هذا الاحتمال أن إبراهيم ما كان ليقول لقومه {قل سيروا في الأرض}، فلو كان كلاماً لإبراهيم لجاءت {سيروا في الأرض} مباشرة بدون "قل". ولهذا السبب سنعتبر الآية خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وندخلها في متن الشريعة إن شاء الله.

...

من الأبحاث الخاصّة بأوامر الشريعة القرءآنية هو بحث الأوامر الكامنة في قصص الأنبياء. لا أدري إن كنت قد ذكرت هذا الأمر من قبل وأحسب أني لم أذكره وإن كنت أجد خاطراً مشابهاً قد مرّ عليّ وكتبته من فترة طويلة لعلها في الكتاب السابق أو ما قبله أو ما قبل قبله، لكن لا بأس بالإعادة والإضافة. قال الله "فبهداهم اقتده"، وهذا الأصل يفتح قصص الأنبياء كمجال لبحث أوامر وأمور يصحّ الاقتداء بها. (نعم الآن عادت ذكرياتي وأذكر أني كتبت عن هذا الأمر من قبل). فكما قلنا عن تفريع الأوامر الداخلة تحت "قل"، كذلك الحال في قصص الأنبياء، ويمكن

القيام بذلك بطريقين، الأول جمع كل قصّة نبي على حدة ثم بحث الهدى الكامن فيها. الثاني قراءة كل قصّة بحسب مشاهدها الواردة بحسب تسلسل سور القرءآن (على تسلسل المصحف الحالي أو على التسلسل الإشراقي الذي بنينا عليه كتاب متن الشريعة القرءآنية).

...

{فإذا ركبوا في الفُلك ، دعو الله مخلصين له الدين ، فلمّا نجّاهم إلى البرّ ، إذا هم يشركون.}
الدنيا كلّها بحر، والآخرة هي البرّ. وخطأ المشركين اعتبارهم بعض الدنيا بحر وبعض الدنيا برّ. وكان الواجب قياس الدنيا كلّها وركوبهم في فلك الجسم على بحر الماء وركوبهم في فلك الخشب. فإن في الغرق في بحر الماء خسارة حياة، لكن في الغرق في بحر الدنيا خسارة الحيوان "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون".

...

كتابة المواعظ شئ، والاتعاظ شئ آخر، قد ينبني على الأول لكن ليس بالضرورة. فلا تحكم على المواعظ بحال الواعظ، فقد قال الله "أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"، فأثبت أنهم أمروا الناس بالبرّ، فاعتبر الأمر برّاً وإن كانوا نسوا أنفسهم فلم يجعلوها تأخذ بهذا البرّ. فلا يتحوّل البرّ إلى فجر بسبب فجر الآمر.

...

قوله تعالى {ادعوهم لآباءهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا ءاباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم}. قوله {ادعوهم} هو الأمر الأول، وقوله {فإخوانكم في الدين ومواليكم} يوجد بعد الفاء محذوف هو نفس أمر {ادعوهم} الأوّل، أي إن لم تعلموا فادعوهم إخوانكم في الدين ومواليكم، وهو مفهوم من تركيب الآية، لأن موضوعها هو ماذا ندعو صنف معين من الناس الذين عبّر عنهم في الآية السابقة بـ"وما جعل أدعياءكم أبناءكم"، وكذلك في حال مظاهرة النساء حيث ردّ على ادعاء أن الزوجة تكون أمّاً بادعاء زوجها لذلك، بعبارة أخرى موضوع الآيات هو الادعاء، وتسمية الشئ بغير ما يستحقّه. فالكلمة لا تصنع الحقيقة، بل الحقيقة يجب أن تصنع الكلمة.

يحتمل أن {فإخوانكم في الدين ومواليكم} أي هي إخوانكم في الدين، وليس المعنى أن ندعوهم بذلك، أي لا يوجد أمر بأن ندعوهم إخواننا وموالينا. الرد على هذا: فما فائدة البيان إذن؟ هم إخواننا في الدين قبل وبعد ادعاءنا أنهم أبناءنا باطلاً، فكل مؤمن أخ لكل مؤمن حتى لو كان الأول ابن حقيقي أو وهمي للثاني، لقوله تعالى "إنّما المؤمنون إخوة"، وهذا يشمل كل مؤمن بغض النظر عن العلاقة الجسمانية بينهما والنسبة بينهما. وراجعت الطبري فوجدته يقول {فإخوانكم في الدين، يقول : فهم إخوانكم في الدين إن كانوا من أهل ملّتكم، ومواليكم إن كانوا محرريكم وليسوا ببنيكم". لكن الزمخشري قال "(فـ) هُم (إخوانكم في الدين} وأولياؤكم في الدين، فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي، يريد الأخوة في الدين والولاية فيه". فالطبري لم ينصّ على وجود أمر بقول شئ، لكن الزمخشري نصّ على ذلك بالرغم من اعتباره ما بعد الفاء هو ضمير "هم" أي هؤلاء الذين لا تعلمون آباءهم، والطبري كتب نفس الشئ، لكن زاد الزمخشري بالنصّ على الأمر بالقول المنبني على الآية "فقولوا هذا أخي وهذا مولاي".

لذلك كلّه أميل إلى اعتبار ما بعد الفاء تكملة للأمر الأول {ادعوهم}. لكنّي لن أذكره كأمر منفصل في عدد خاصّ به، لسببين : الأوّل، النصّ ذكر الأمر مرة واحدة {ادعوهم} وأما ندعوهم بماذا فهو راجع إلى تفصيل أمر {ادعوهم} الذي ينبغي كشفه حين ندرس الأمر على حدة، وحين

ندرسه سنكتشف أن الحالة تنقسم إلى حالتين، واحدة نعلم فيها الأب والأخرى لا نعلم فيها الأب، في الحالة الأولى ندعوه لأبيه، وفي الحالة الأخرى ندعوه أخاً في الدين ومولى. السبب الثاني، مراعاة قدر الإمكان لدقّة النصّ القرءآني، وحيث أن الطبري والزمخشري لم يفهما بعد الفاء إلا ضمير الجمع "هم"، وإن كان الزمخشري زاد "قولوا هذا أخي وهذا مولاي"، فلعله رأى ذلك كتطبيق عملي مفهوم من البيان العلمي، ومثل هذا لا يكفي لإدخال الأمر في متن الشريعة عندنا حيث لا ندري إلا الصريح من الأوامر وليس المفهوم منها إذ هو مجال واسع تختلف فيه الفهوم ونحن نريد متناً أساسياً لا يختلف عليه الناس قدر الإمكان والله المستعان. ولن نخسر شيئاً إذ كما بينا في السبب الأول سيتبين الأمر بدراسة كلمة {ادعوهم} الأولى.

...

بعض الآيات لا تُفهَم إلا في سياق السورة التي وردت فيها. مثلاً في الأحزاب قال {ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً}، كيف تفهم هذا مع قوله في آية أخرى "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار" و "إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً" (وقدّم المنافقين على الكافرين كزيادة في الشدّة والتأكيد) ؟ فإن أخذت الآية {ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) بمعزل عن سياقها في سورة الأحزاب لتعارضت مع الآيات التي تجزم بدخول المنافقين النار وجهنّم مع الكافرين أو بالأحرى الكافرين معهم أو هم معاً. لكن إذا قرأت السياق ستجدها تتحدّث عن هجوم الأحزاب المشركين على المدينة في الحرب وحدود زلزال نفسي شديد وابتلاء للمؤمنين فضلاً عن غيرهم، وبدأ بعض المسلمين يفكّر بالفرار ويتمنّى البدو مع الأعراب وغير ذلك من الأفعال والأحوال والأقوال الناتجة عن الخوف الشديد من القتل على أيدي الأحزاب الذين حاصروا المدينة المنورة. ومن هنا نبدأ بفهم هذا الصنف من المنافقين الذي لم يقطع الله بدخولهم النار أي الذين قيل فيهم {أو يتوب عليهم}، خلافاً للصنف المحكوم عليه بالعذاب {يعذب المنافقين}. وأحد التأويلات المعقولة هي التفريق بين المنافق بسبب الخوف الطبيعي والمنافق بين الكفر الشيطاني. فمن قال وفعل وتبدّل حاله بسبب الخوف الطبيعي قد يتوب عليه لأنه منفعل عن عاطفة جامحة لا يد له في التحكم بها، لكن من قال وفعل وتبدّل حاله بسبب رؤيته إمكان إبادة دعوة النبي كفراً بالله ورسوله فهذا له شأن آخر. فاختلف حال المنافقين في سياق حرب الأحزاب إلى قسمين، وحيث أن العقوبة على ما تعمّد القلب وما كان للإنسان فيه اختيار معقول وقدرة جسمانية ومزاجية على تحمّله بحكم "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" و "إلا ما أتاها" مع وجود رحمة الله وعلمه بأن الإنسان خُلق هلوعاً وضعيفاً وجزوعاً وكرهه للألم وهو كره مخلوق فيه لا يد له في السيطرة عليه غالباً أو دائماً أو لا أقلّ يكون لكن بصعوبة شديدة يتجاوز عن عدم تحمّلها الكريم والرحيم من الناس فضلاً عن ربّ وملك وخالق الناس الذي هو أعلم بما خلق ورزق. هذا مثال بسيط لكنه يكشف عن كيفية حدوث اختلافات وانشقاقات بل ضلالات وكفريات وإجرام شديد أحياناً بسبب عدم أخذ القرءآن ككل واحد يشرح بعضه بعضاً ويقيّد بعضه بعضاً، خصوصاً في السورة الواحدة. فتأمل هذا فإنّه من أعظم مفاتيح فهم القرءآن بإذن وعون وتعليم الرحمن.

تكملة: مثال آخر من نفس السورة، الآية ٤٠ {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم}، فالذين يأخذونها وحدها بمعزل عن سياقها وسورتها يطلقون معناها وينفون المعلوم والمنصوص عليه

والمعقول بنفسه أي ينفون وجود أي أبوة لمحمد لأي رجل في الأمّة على الإطلاق. وهذا باطل قطعاً. هذه الاية جاءت بعد ذكر قصّة زيد، قصّة زيد في الآية ٣٧ وبعدها تعليقات عليها إلى الآية ٤٠ هي {ما كان محمد} وهي تابعة لها إذا قرأت الآيات جيداً. نعم، فمحمد ليس أباً لزيد، {رجالكم} فالرجال في زمن حدوث قصّة زيد لم يكن فيهم مَن محمد أبوه، إذ الحسن والحسين لم يكوناً قد بلغا مبلغ الرجال بعد في ذلك الزمن، ثم {رجالكم} ليست "الرجال"، فالآية لم تقل "ما كان محمد أبداً أحد من الرجال"، لو كانت كذلك لكانت مطلقة فعلاً، لكنها {رجالكم} فالكاف تخاطب فئة مخصوصة مقيدة، فيخرج عنهم من سوى هذه الفئة، ومنهم الحسن والحسين كمثال وكل ذريتهما، وكل مَن له أبوة روحية مبنية على الرسالة والنبوة {ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما} وهي الأبوة التعليمية الخاصة التي تنتقل من الرسول إلى ابنه الروحي بالنور النبوي والإلهي.

...

قَدَّر الله على النبي قدراً مقدوراً أن يقول لزيد {أمسك عليك زوجك واتق الله} لأنه يعلم أنه سيقال عنه : اشتهى زوجة زيد فأرادها لنفسه كما ما فتئ الملاحدة يقولون ذلك إلى يومنا هذا. فلمّا أمره بإمساكها واتقاء الله، خرج الأمر من أن يكون نفسياً له عليه الصلاة والسلام، ثم حدث ما حدث مما لم يدبّره هو لنفسه.

...

حرمت عليكم، أحل لكم، أخبار ليست أوامر. لكن الأمر بحفظ حرمات الله يقتضي تعريف المحرم والمحلل، وحينها يصبح أمراً بالتبع. تأمل هذا الأمر أكثر.

...

قوله في سورة الزمر {قل الله أعبد مخلصاً له ديني. فاعبدوا ما شئتم من دونه} توجد فاصلة آية بعد كلمة {ديني}، فيحتمل أن قوله {فاعبدوا ما شئتم من دونه} هو قول الله المباشر، وليس قولاً للرسول داخلاً ضمن {قل الله أعبد مخلصاً له ديني}، ويحتمل أن يكون من القول المأمور الرسول بأن يقوله للناس ضمن {قل} التي افتتح بها الآية ١٤.

لكن الأظهر أن {فاعبدوا ما شئم من دونه} منفصلة عن {الله أعبد مخلصاً له ديني}. وذلك لسببين. الأول، فاصلة الآية، وهي قرينة ليست بتلك القوة، لأنه قد يرد أمر "قل" ويستمرّ المضمون لأكثر من آية، وأقرب دليل على ذلك الآية ١١ من نفس السورة، "قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين"، فإن مضمون الأمر "قل" استمرّ لآيتين منفصلتين. فهي قرينة ضعيفة كما قلنا. لكن السبب الثاني هو الذي يعزز ما ذهبنا إليه من أن الأظهر الفصل، وذلك لأنه في الآية التالية ١٥ قال مرّة أخرى {قل إن الخاسرين}، فلو كان {فاعبدوا ما شئتم من دونه} هو استمرار للأمر الأول {قل الله أعبد} لوجب أن يستمرّ المضمون في {فاعبدوا ما شئتم} بالتالي لما كان ثمة داع للفصل مرّة أخرى بأمر {قل إن الخاسرين} ولكانت الآية هكذا: قل الله أعبد مخلصاً له ديني. فاعبدوا ما شئم من دونه إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين. فالإتيان بأمر {قل} مرّة أخرى قرينة قوية على أمر جديد بقول شئ آخر.

فائدة هذا البحث ليست بتلك الأهمّية من حيث أمر الشريعة، لأن أمر {فاعبدوا ما شئتم من دونه} إمّا أن يكون من أمر الله وإمّا أن يكون من أمر الرسول عن أمر الله. وإنما بحثته هنا لأني

وضعت متن الشريعة على أساس أن يكون مشتملاً بشكل عام على أوامر الله المباشرة، وليس الأوامر الداخلة ضمن أمر "قل" للرسول كما بيّنا من قبل في هذا الكتاب. لكن على الوجهين، يوجد أمر-وبحث نوعية هذا الأمر هل هو التجويز أم ماذا ولماذا ليس هذا محلّه-يكن يوجد أمر يقتضي ترك الناس تعبد ما تشاء من دون الله في هذه الدنيا والحساب على الله يوم القيامة كما ورد في نفس الآية بعد {فاعبدوا ما شئتم من دونه} إذ قال {قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين}. فأعظم فائدة عملية مأخوذة من هذه الآية هي الحرية الدينية وعدم الإكراه فيها. وتوجد فوائد معنوية عرفانية ليس هذا محلّ تفصيلها.

الحاصل، سنكتب أمر {فاعبدوا} إن شاء الله في متن الشريعة القرءآنية على أنّه أمر الله.

تكملة: كذلك الآية رقم ٥٤ وما بعدها، لأنها مفصولة عن الآية "قل يا عبادي الذين أسرفوا" المختومة بدورها باسمي "الغفور الرحيم" وكلاهما قرينة على نهاية الآية وختم أمر "قل" فيها. لذلك ستُكتَب أوامر "أنيبوا..أسلموا..اتبعوا.." على أنها أوامر إلهية مباشرة.

...

قد يزعم البعض أن آية {قل يعبادِ الذين ءامنوا اتقوا ربّكم} ليس فيها دلالة قطعية على أن ضمير {عبادِ} يعود على الرسول، مما يدلّ على أن الذين ءآمنوا هنا هم عباد الرسول، ويخالف الظاهر المتواتر معناه والفائض مبناه في القرءآن كلّه بل حتى في الآية التي بعد هذه مثل "قل إني أمرت أن أعبد الله" فضمير الياء من "إني أمرت" عائد على الرسول، وهكذا بعد كل "قل" فالقائل هو الرسول والضمير عائد عليه، أقول قد يحتج الجاهل عناداً لمعاني القرءآن بأن الياء محذوفة في الخط "يعباد الذين ءآمنوا"، ولم يقل: يعبادي، بإثبات الياء، وأن ذلك دليل على أنهم أرادوا إبطال نسبة الياء إلى القائل الذي هو الرسول.

وردّنا على هذه المحاولة الضعيفة في نفس السورة في الصفحة المقابلة الآية ١٧، فإن الله يقول {فبشِّر عبادِ. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه". فذكر كلمة "عبادِ" والمتكلّم هو الله والضمير راجع إليه قطعاً، مع حذف الياء أيضاً تماماً كالآية ١٠ {قل يعبادِ}. والردّ الآخر أيضاً من نفس سورة الزمر الآية ٥٣ حيث يقول "قل يعباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله"، فهنا نفس المعنى "قل يعبادي" والضمير راجع على القائل الذي هو الرسرل، مع إثبات ياء النسبة في الخط. "قل يعبادِ" و "قل يعبادي"، خذ أيهما شئت فلا مفرّ من هذا المعنى قرءآنياً.

من باب الإشارة : حذف ياء النسبة لمّا كان الكلام عن العباد من {الذين ءامنوا}، وأثبت ياء النسبة خطّاً لما كان الكلام عن العباد من {الذين أسرفوا}. فإن المسرف يحتاج إلى إظهار الرجاء والرحمة أكثر من المؤمن الذي يشهدها باطناً وغيباً حتى إن لم تثبت خطاً ظاهراً.

...

{ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا، إنهم لا يعجزون}، نهي الذين كفروا بواسطة رسول كفروا به ليس شرعاً للمؤمنين. لكن الذين يكون شرعاً للمؤمنين هو نهيهم عن أن يسحبوا أن الذين كفروا، فقد يكون {لا يحسبن} نهياً ضمنياً للمؤمنين بأن لا يحسبوا، وكأن القرءآن لو كان مجرّداً من النقط لاحتمل قراءة {لا يحسبن} على أنها "لا تحسبن"، أو أنها على صورتها {لا يحسبن} لكن من باب الإشارة خطاب للمؤمنين بأن لا يحسبوا ذلك. كل ذلك فيه التفات على صورة الكلمة، لكن الذين

ألجأنا إلى هذا كون النهي موجهاً إلى الذين كفروا بصفتهم {الذين كفروا}، فكأنّه خطاب للعاجز بأن يتحرّك من حيث هو عاجز. يرد على هذا أن الذين كفروا من حيث إنسانيتهم مكلّفين بالعلم بالحق والإيمان به وعلى هذا بُعِثَ الرسل. النهي الإلهي إن كان نهياً تكوينياً {لا يحسن} لوجب وقوعه بأن لا يحسب الذين كفروا ولا يستطيعون أصلاً الحسبان، وهذا غير واقع. وإن كان نهياً تشريعياً، لوجب حمله على غير جهة الكفر بل جهة النفس على فطرتها التي لا تبديل لها وهي التي يُوجَّه إليها التكليف الشرعي. لذلك لن نكتبه في متن الشريعة، وسنعتبره من قبيل الكلمات التي خوطب بها الذين كفروا وصورتها صورة الأوامر، فتُّضم إلى ذلك الصنف الذي يجب إفراده بالتأليف مثل صنف "قل" الرسولي.

خطر لي أن أُراجِع كتاب في قراءآت القرءآن هو الموضح للشيرازي النحوي، فرجعت بعد ساعات من كتابة المقطع السابق ووجدته يذكر أن {يحسبنّ} هنا قرأها بعض القراء بالتاء، أي "تحسبن" فقال (وقرأ الباقون تحسبن بالتاء في السورتين)، فمن هذا الوجه يكون النهي من الشريعة لأنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بالأصالة وللأمّة بالتبعية. بل قال أيضاً أن قراءتها على صورتها {يحسبن} أيضاً تحتمل الإشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال (ويجوز أن يكون في "يحسبن" ضمير النبي صلى الله عليه وسلم، كأنّه قال : ولا يحسبن النبي الذين كفروا). وعلى هذا الوجه أيضاً تكون داخلة في الشريعة. لذلك نسخت رأيي السابق برأيي هنا، ولم أكن مرتاحاً أصلاً للرأي السابق وإنّما استعجلته-وهذا خطأ شنيع في الكتابة عن كتاب الله- لأن أهلي وضيفي كانوا قد استعدوا للإفطار-إذ نحن في رمضان الآن-أذّن المغرب وكانوا يأكلون على مائدة موضوعة في مكتبي فتسرّعت في الكتابة لكن الحمد لله الله سلَّم نسأل الله العصمة والسلامة ونعوذ به من العجلة والندامة.

...

{ما لكم من ولايتهم من شئ} ولم يقل : لا تتولّوهم. نفى ولايتهم، ولم ينه عنها. فهو خبر عن انعدام الولاية.

{وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر} ولم يقل: فانصروهم. فذكر أن علينا النصر، فهو تعريف مواضع النصر، والأمر بالنصر مباشرة جاء في آيات أخرى. {عليكم النصر} بيانها في آية "مالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً"، فهؤلاء المستضعفين دعوا الله، لكن الله أمر المؤمنين بالقتال لنصرهم، فالنصر على المؤمنين الذين هم مظاهر يد الله في العالمَ، وليس النصر على الله بمعنى التعالي والغنى عن العالمين. بعبارة حدّية، النصر على المؤمنين، عليهم هم حمله والقيام به لله وبالله. أي النصر بالقتال في سبيل الله وليس بالدعاء فقط. فآية {فعليكم النصر} تعريف بموضع النصر والواجب عليه حمله فالله يعرّفنا بأنه حمّلنا إيّاه. مثل قوله "كُتِبَ عليكم الصيام"، فهو خبر عن حقيقة الكتابة، وليس أمراً بالصيام والذي جاء بعد ذلك "مَن شهد منكم الشهر فليصمه". فالخبر يكشف، والأمر يُوجِّه. هذا وجه.

قرأت الزمخشري ويقول "واجب عليكم أن تنصروهم على المشركين". فهل تعيين الواجب هو أمر بالفعل صراحة؟ {فعليكم النصر} تعيين، فهل يصحّ أمراً بالفعل أم التعيين وصف لحقيقة شرعية فقط مستقلة معنوياً عن الأمر؟

فقد يأتي الأمر في آية، وتفصيله في آيات أخرى.

لقد أشكل عليّ هذا الموضع. القدر غير المشكل هو نفي الولاية في حالة نصّت عليها الآية، وإثبات وجوب النصر في حالة أخرى نصّت عليها الآية. فالآيات الأخرى التي تأمر صراحة بالولاية ستجد في هذه الآية بياناً وتفصيلاً، وكذلك الحال في الآيات التي تأمر بالقتال ونصر الله ورسوله والمؤمنين. فالمقطوع به أنّها آية مفيدة علمياً وخبرياً في تحديد مواضع الولاية والنصر وشروطهما، لكن هل فيها أمر صريح أو نهي صريح فهذا ما أشكل عليّ. فلينظر الناظرون في هذا الموضع وينقّحوه.

قد يقال: الأمر يفيد الوجوب، و"على" تفيد الوجوب، بالتالي "على" تساوي معنوياً الأمر لأنّها تؤدي الغرض نفسه. وقد قرأنا قول الزمخشري وكذلك قرأت لأبي حيّان تقريره لقول الزمخشري وعززه ببيت من الشعر.

وقد نزيد على هذه الحجّة قوله تعالى بعدها "إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"، فأشار إلى وجوب وجود فعل من المؤمنين حتى لا تحصل هذه الفتنة، فإذا كانت الفتنة والفساد سيقعان بسبب عدم الفعل، كان الفعل واجب الوجود. فعدم الفتنة والفساد الكبير مبني على الفعل، فالحياد في هذه القضية هو مشاركة في الفتنة ومشاركة في الفساد الكبير، أي عدم الفعل ليس اختياراً صالحاً لأن عدم الفعل كافٍ بنفسه لفتح المجال لوقوع الفتنة والفساد الكبير. وما كان هذا حاله كان الأولى به أن يكون أمراً شرعياً واجباً.

والرد على القول الأول الذي يذكر أبا حيان، أنه هو نفسه قد أشار إلى أن ظاهر الآية هو "إثبات" شئ، لكن معناها هو "النهي" عن الموالاة أو ما يشبهه من وجوب النصر. بالتالي، قرر أن ظاهر الآية في الإثبات والنفي، وليس في الأمر والنهي، وكلامنا ليس إلا في الأمر والنهي.

والرد على القول الثاني الذي وضعناه، أن آية الفتنة خبرية، تذكر عاقبة عدم الولاية والنصر بالحدود التي ذكرتها الآية السابقة، وهذا لا نزاع لنا فيه لأن بحثنا ليس في الخبر لكن في الأمر.

لذلك الأسلم حمل الآية على الخبر والتعريف، ثم يُستفاد منها في تطبيق الأوامر الظاهرة والصريحة في الآيات الأخرى، وهذا أقرب للشرط الذي وضعنا عليه متن الشريعة القرءانية.

...

دعاء موسى في سورة طه، من قوله {رب اشرح لي صدري} إلى {يفقهوا قولي} هو دعاء الروح لذاتها ومع النفس. ومن قوله {واجعل لي وزيراً من أهلي} هو دعاء الروح للجسم أن يكون تابعاً للروح. و {اذهب إلى فرعون إنّه طغى} هو النفس المستغنية عن الله وبالعلم "كلا إن الإنسان ليطغى. أن رءاه استغنى".

...

لا يُعطيك الله إلا بسؤالك، حالاً أو مقالاً. لكن قد يعطيك بدون سؤال الحال الحاضر أو المقال الظاهر إذا كان العطاء مناسباً لفطرتك التي فطرك عليها والتي لا تبديل لها وهو العطاء الذي يعلم أنّك إن أُعطيته لن ترفضه وتكرهه، وذلك مثل النبوة والرسالة والولاية الحقة. فإنّه لم يؤت أحداً ذلك ورفضه. أمّا يونس، فعاد حين استشعر الظلمات بعد النور الذي كان فيه فعرف قدر النور بعد تذوق الظلمات من جديد. وأمّا الكلب اللاهث فإنّه انسلخ لأنه لم يؤتى الآيات إلا على مستوى

القشر والظاهر والجلد، ولم يؤتاه على مستوى القلب واليقين والكشف أي لم يؤتاه على مستوى الفطرة غير القابلة للتبديل لكنّه أوتيه على مستوى المزاج البدني المتقلّب لذلك انسلخ ولو أوتيه على الفطرة لما استطاع أن ينفك منه بإرادته. "الله أعلم حيث يجعل رسالته".

...

أصول العبادة ثلاثة ، اثنان منها بالعقل وواحدة بالعقل والإرادة، فثلاثة أرباع العبادة عقل وربعها إرادة.

الأصل الأوّل، تعقل قيام كل الموجودات بالعلم الإلهي. {وهو بكل شئ عليم}. فكل موجود ممكن قائمة عينه في العلم الإلهي، سواء علم العبد ذلك أم لم يعلمه، فهو حق باستقلال عن اختيار الناس وإيمانهم. فحظّك من هذه العبادة تعقّل حقيقتها.

الأصل الثاني، تعقّل قيام كل المخلوقات بالكلمة الإلهية. {إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون}. فكل مخلوق قائم في الكون إنّما قام ويقوم وهو ممسوك بكلمة الله، سواء علم العبد ذلك أم لم يعلمه، فهو حق باستقلال عن اختيار الناس وإيمانهم. فالشريعة التكوينية لا يعصي أوامرها أحد، "وله أسلم مَن في السموات والأرض" "طوعاً وكرهاً". فحظّك من هذه العبادة تعقّل حقيقتها.

وعلى هذين الأصلين قامت كلمة "إيّاك نعبد". فهو اعتراف بعبادة قائمة متحققة وجودية قطعية يقينية حتمية لا مفرّ منها ولا مخرج عنها.

الأصل الثالث، تعقّل الشريعة الرسولية وطاعة أوامرها. {شرع لكم من الدين}. وهنا الإيمان والاختيار، والأوامر التي لا وجود لها في العبد إلا بعد إيمانه واختياره. مثلاً، "أقيموا الصلاة" فالصلاة غير مقامة بالنسبة لك إلا بعد أن تقيمها أنت. "بالوالدين إحسانا" فقد تُحسن لوالديك وقد تكون جبّاراً عصياً شقياً، الاختيار لك والمشيئة إليك. نصف هذه العبادة تعقّل، إذ بدون تعقّل كلام الرسول والإيمان بأنه رسول الله والتفقه في دين الله لمعرفة الأحكام الشرعية الظاهرة والباطنة، أي الشريعة والطريقة، فلن تستطيع القيام بالنصف الآخر الذي هو إرادة تحقيق هذه الأوامر في الواقع بطاعتها وتنفيذها وإقامة الأوامر وعدم إقامة النواهي. الثواب والعقاب إنّما يكونا على هذه العبادة. ويرتفع مقام العبد ودرجته في العبادة بتعقّل الأصل الأول والثاني وزيادة تعقّل الأصل الثالث وزيادة إرادة تحقيق أوامر الأصل الثالث. "يرفع الله الذين ءآمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات".

ع-ب-د ثلاثة أحرف وهي ثلاثة أصول، احفظها هكذا. العين رمز العين، أي عينك الثابتة في العلم الإلهي. الباء رمز "بسم الله"، أي خلقك قائم باسم الله وبإقامة الله لك في الكون، "بي كان ما كان وبي يكون ما يكون"(كان ما كان على مستوى الملكوت والتكوين الفوري، ويكون ما يكون على مستوى المُلك والخلق التدريجي). الدال رمز الدين، وهو الشرع المبني على الطاعة لا الإكراه والاختيار لا القهر. فالعين والباء والدال عليهم مدار درجات الرجال.

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. قال ابن عبّاس رحمه الله "إلا ليعرفونِ". لماذا؟ لأن الله قال في آخر سورة الطلاق "الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهن، لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً". فالله الذي خلق لتعلموا أن الله، بالتالي الغاية من الخلق هنا هي العلم بالله، وفي الآية السابقة هي العبادة، فالعبادة هي العلم من هذا الوجه أي عمل العقل، وهي من وجه آخر إقامة الدين أي عمل العقل

والإرادة. فلمّا كان العلم هو أساس العبادة على الوجهين، قال ابن عبّاس "ليعرفون"، إذ يجوز تسمية الشئ بأصله وتسميته بالسمة الغالبة عليه، وأصل العبادة الإرادية هي العبادة العلمية، وثلاثة أربا ع العبادة علم فهي السمة الغالبة، فعرّف العبادة بالمعرفة من هذين الوجهين. هذا تفسيرنا لكلمته.

كل ما سوى ذلك من تعريفات العبادة وأوصافها إن حققته ستجده متضمناً في الأصول الثلاثة أو بما يؤدي إليها أو بما يتفرع عنها ويكون من آثارها أو ما يحرسها.

...

استغفار : أستغفر الله العظيم ، أستغفر الله العظيم ، أستغفر الله العظيم ، اللهم اغفر لي وارحمني أنا وأهلي وذريتي ومَن اتّبعني بإيمان يا الله يا رحمن.

...

دعاء بعد قراءة ورد القرءآن اليومي : صدق الله العظيم ، اللهم اجعلني مُصدّقاً بأخبارك ، مُطيعاً لأوامرك ، مُخلصاً لوجهك ، أنا وأهلي وذريتي ومَن اتّبعني بإيمان ، يا الله يا رحمن .

...

استمعت لشيخ شامي حنفي متصوف يبرر أحوال مفتي ديار مصري مع الساسة بقول حاصله "المفتي في هذه الدول العربية ليس مرجعاً للساسة أصلاً إنّما هو مرجع العامّة وقضاياها". أقول: إن كان الأمر كذلك فعلاً، والمفتي لا يقدّم ولا يؤخر حقّاً، فليخرج كل رجال الإفتاء ويفتون ضد ساسة بلادهم لنرى إن كانوا فعلاً لا يملكون أي قدرة حقيقية بالدين. المفتي الذي يُخدِّر العامّة من أجل الساسة قد قام بكل ما يطلبه منه الساسة.

وكذلك بالنسبة لما يقوله هذا الشيخ وغيره "نحن لسنا مع السياسة ولا ندعم أي حزب ولا نتبع إلا الله والشريعة" أو ما أشبه من عبارات توهم إمكان الحياد في الحياة السياسية. هذا القول على شيوعه بين طبقة المشايخ والعامّة على السواء، حيث يظنّ الواحد أنه محايد ويعيش منزوياً ولا يؤيد أحداً، هو قول باطل من وجوه كثيرة يكفي واحد منها ويكفي أدنى تأمل لمعرفة صدق هذا الوجه. الخلاصة كالتالي : أنت تعيش حسب قوانين وضعها أشخاص (الحزب الحاكم)، وتدفع الضرائب ، وإذا حكموا عليك في قضية مدنية أو جنائية تُسلِّم عملياً وظاهرياً بذلك وتنفذ الحكم ولا ترتكب عنفاً للتهرب منه أو التخلّص منه بل تقبله عملياً وواقعياً وهو المطلوب، وإذا حدد الحزب الحاكم قيوداً للتعبير تلتزم بها خصوصاً فيما يتعلّق بالحزب الحاكم نفسه فلا تذكر أسماء أعضاءه وإن ذكرتهم تذكرهم بألقاب الاحترام و/أو التبجيل وتقرّ لهم بألقابهم السياسية وكذلك بالنسبة لسياساتهم واختياراتهم فإمّا تسكت عليها سكوتاً يجعلك عملياً وواقعياً (وهو مطلوب الساسة) في حكم القابل لها وإمّا تؤيدها ولو تقية ظاهرة (أيضاً وهو مطلوبهم)، ولا تسعى في نقض حكمهم ولا التوهين منه، هذه خلاصة الحالة الواقعية التي يعيشها الذين يزعمون أنهم "محايدون" في السياسة ولعلّهم يقولون كما قال بعضهم "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة" أو "لعن الله ساس ويسوس وسياسة" وما أشبه من عبارات كاذبة موهمة إمكان الحياد والواقع أن قائلها غارق في وحل السياسة التي زعم انفصاله عنه. الحالة الواقعية للعامّة هي كل ما يريده أي حزب حاكم بشكل عام. تتبع قوانينهم، تدفع ضرائبهم، تسكت عنهم، لا تسعى لنقضهم، تذكرهم بالاحترام والاعتراف بألقابهم المعبّرة عن مقامهم، ترضى بقضائهم. هل يوجد شئ بعد هذه الستّة يريده الساسة من العامّة كحدّ أدنى؟ لا وزيادة على هذه-بالنسبة للشامي الذي ذكرته

وغيره-فإنهم يلتحقون بالعسكرية المفروضة عليهم ويؤدون الخدمة العسكرية في الحزب الحاكم، ويرسلون أولادهم للالتحاق بالخدمة العسكرية، ويحاربون إن اضطر الأمر بحسب أوامر القيادة العسكرية للحزب الحاكم. وبعد كل هذا يقولون "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة" ! تستعيذ منه وترتمي في حضنه ؟! كل مَن يدّعي الحياد في السياسة هو تابع للسياسة القائمة. فحياده عبارة عن تبعيته الصامتة. لا يوجد حياد في السياسة، ولا يمكن الحياد فيها أصلاً، ولا يمكن الحياد فيها مطلقاً. أنت إمّا مع وإمّا ضدّ، وإن لم تكن ضدّاً فأنت مع، مهما تدنّت درجتك في المعية. والسياسة تريد منك الجانب العملي، ولا تبالي بنواياك الخفية وأقوالك في نفسك وفي سرّك وإيمانك. اللصّ يريد أخذ أموالك، فإن أعطيته أموالك فأخذها هو وذهب واستمتع بها فإنّه لن يبالي بعد ذلك إن أعطيته أموالك بنيّة كذا أو كذا أو إن أعطيته أموالك وأنت تقول في نفسك كذا أو كذا، هذا كلّه لا يهمّه، ما يهمّه هو المال المادّي الواقعي، وقل ما شئت بعد ذلك في نفسك. كذلك الحال في السياسة، إن اتبعت قوانينهم ودفعت ضرائبهم وسلّمت بقضائهم وسكتّ عنهم ولم تسعى لنقض حكمهم و/أو كنت جندياً عسكرياً لهم، وقلت مثل ذلك لأولادك، فأنت تابع لهم، وقل ما شئت بعد ذلك من الكذب على نفسك أو على غيرك. فاتّقوا الله يا مشايخ الإسلام ولا تكذبوا على أنفسكم ولا على غيركم. ولا أظنّ أكثركم إلا كاذباً كذّاباً، خدعه شيطانه في نفسه فزيّن له سوء عمله فرآه حسناً، والعياذ بالله. أمّا إذا وجدت الواحد منهم يصرّح بحياده السياسي، فأعلمُ واعلم قطعاً أنه كذب على نفسه أو على غيره، من حيث يشعر أو لا يشعر، ولا أُراه إلا شاعراً أو غافلاً من عدم تعاطي الفكر الحرّ والجرئ مع الواقع.

...

من حسن حظّك أن يرزقك الله أصحاباً يتابعونك من أجل ما يستفيدونه من كلامك وحالك في الله تعالى، ويتركونك من غير جفاء إن وجدوك حدت عن الإلهيات إلى الدنيويات والماديات والكفريات.

...

الفكر الذي تشرحه من داخله وبكل قوّة كأنه واحد من أهله والمحامي عنه، هو الفكر الذي يُعتَبر أنك شرحته حقّاً وبيّنته تبييناً. اشرحوا فكر الغرب بهذه الصورة، ثم انظروا مَن يقبله ومن يرفضه من المسلمين، مع موازنة هذا بشرح العلوم الصوفية والعرفانية بنفس القوّة والطريقة. حتى يشهد الناس الفرق بين فكر الغرب وذكر الشرق ثم يختار كل واحد طريقه على بيّنة. من أجل ذلك جعلت لي مجلساً لشرح كتاب نيتشه (أفول الأصنام)، ومجلساً لشرح كتاب الرومي (المثنوي المعنوي). ووجدت معظم الناس يرفضون حضور مجلس نيتشه ويُقبِلون على مجلس الرومي. أليس هذا أفضل من تكفير الفلسفة الغربية ومنع نشر كتبها ودراستها؟ فإن مَن سلك طريق التكفير بلا تفكير قد بعث الناس من حيث لا يشعر إلى رفضه هو والإقبال على الفكر الغربي المادّي وقيمه ولو سطحياً وسلوكياً. لا خير في إنسان لا يؤمن إلا بالجهل بالكفر.

...

يزعم البعض أن طريق الرياضة الكشفية والمجادلة الكلامية والتأملات الفلسفية لا يوصل إلى اليقين الديني، وإنّما طريق اليقين الديني هو "إيمان العجائز". ولهم في ذلك عبارات كثيرة هذه حاصلها. قولهم هذا باطل من وجوه.

منها، وأظهرها، هو أن نسأل : أي عجائز بالضبط ؟ فإن عجائز كل الفرق والملل لهم عموماً هذا "اليقين" الذي تزعمونه. فانتقاء بعض العجائز لتقليديهم دون غيرهم تحكّم ظاهر لا يقول به أحد.

ثم العجائز الذين يستشهدون بهم إنّما لقّنهم الدين أناس تسلّطوا على قطرهم وبلادهم أو صدف أن كانوا فيها، فنشأوا عليه ثم حصل لهم "اليقين" أو "الإيمان" المذكور. لذلك تجد المتطرّفين من كل جهة، وخصوصاً الذين ينكرون العرفان والكلام والفلسفة، يسعون إلى السيطرة على وسائل الإعلام والتعليم بالقهر والعنف، وبعد ذلك سيبثّون عقائدهم في الصغار والكبار ويرهبون الناس من الخروج عليها تحت طائلة العقوبات القانونية العنيفة المادّية والمالية، ثم سيستشهدون ب"إيمان" عجائزهم.

ومنها، وهو الأهمّ، مَن قال لكم أن العجائز لا كشف لهم ولا رؤى تأتيهم من عيشهم طول حياتهم على طريق الشريعة والتقوى والبساطة؟ فما ترونه إيماناً على "التسليم" أو التقليد الأعمى، قد يكون في الحقيقة إيماناً عن كشف ورؤى ومواجيد وفتوحات شخصية لكن لا يتحدّثون بها. وأنا أعلم هذا شخصياً من جدّتي التي كانت لها مثل تلك الأحوال لكن لم تحكي ذلك لأحد إلا لي في بعض الأمور. وقس على ذلك.

ويكفي هذا لإبطال ذلك القول. والله المستعان.

...

{وإنّا على ذهابٍ به لقادرون}. الوحي نقطة نور في قلب النبي والولي. هذه النقطة قابلة للتشكّل بأشكال لانهاية لها ولا نفاد لصورها بحسب ما يرد على قلبه من الخواطر والمسائل والحوادث والأدعية وكل ما يصلح الوحي لبيانه وتقويته. فهي نقطة كلاشئ لكنّها كل شئ. ويجد العالِم في قلبه ظلمة، وهي الظلمة القابلة لتلقّي تلك النقطة، ويعلم أنه مفتقر إلى إيجاد الله لها في قلبه وأنه غير قادر على التحكّم بوجودها أو بإشعاعها. فإن قال "أوتيته على علم عندي" أو تقوّل على الله شيئاً من غير الوحي أو تكبّر على الحق بعد أن علمه أو أي كبيرة أخرى من هذا القبيل ذهب الله بنوره وتركه في ظلمة لا يُبصِر فيها والعياذ بالله ورحمته.

...

اللهم إنّي أسألك أن تجعلني ءاية، وأعوذ بك من أن تجعلني ءاية.

...

الشرائع أمثال للحقائق. ومَن زعم أن الشرائع النبوية غرضها فقط الإشارة إلى المادّيات وإحداث الآثار المادّية فقط كفر ولابد أن يكفر أو يكابر نفسه ويغالطها ويخادعها ويخدع غيره.

خذ مثلاً دعاء دخول الخلاء، "اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث"، فإن زعمت بأن في الخلاء كائنات مادية خفية أو كائنات ما خفية هي الشياطين ونحو ذلك وأنّك تستعيذ بالله من شرّهم بواسطة هذا الدعاء، فقد كابرت، لأن الشئ الذي يضرّ تكوينياً يجب أن يظهر ضرره على مَن لا يتخذ سبب دفعه، فالإنسان يعطش ويدفع عطشه بالماء فيشرب، والدليل على وجود العطش وأثره وإمكان دفعه بالماء هو أننا إن وجدنا إنساناً لا يشرب الماء سنجده عطشاناً في العادة، كذلك الحال في مثل دعاء الخلاء، إن كان الغرض منه هو دفع ضرر تكويني لابد أن نجد ذلك الضرر في المسلمين والمجرمين الذين لا يقولون ذلك الدعاء حين يدخلون الخلاء، وهذا ما لا دليل عليه، فحتى أنت قد تنسى قول الدعاء أحياناً ولا يتغيّر عليك شئ مشهود في نفسك ولا خارجك

بسبب ذلك. وقس على ذلك. النظرة الإلحادية للشريعة قد تأتي من داخل الشريعة ومن أشخاص يزعمون بأنهم أهل التمسّك بالشريعة وحرفيتها. يوجد إلحاد بالدين ويوجد إلحاد بالدين، أي يوجد إلحاد يرفض الدين ويوجد إلحاد يتحقق معناه بواسطة الدين ومنه الذين لا يرون الشريعة كأمثال على حقائق علوية وباطنية ونفسية وغيبية وروحية وأخروية. أمّا بعين الأمثال وفتح التأويل فلا يستعصي شئ من الشريعة وآدابها وسننها على العالِم بإذن الله وفضله. مثلاً، وهذا مجرّد تمثيل لا استقصاء، دعاء دخول الخلاء فيه تذكير بالآخرة وحقيقة الروح، لأن دخول الخلاء من شأن الجسم الذي يأخذ الطيب ويُخرِج الخبيث، ويأخذ من الطبيعة ويُرجِع غذاء الطبيعة إليها بصورة أخرى، وفيه معنى التغيّر في الجسم والافتقار إلى الأسباب الطبيعية، باختصار هو تذكير بخبث الجسم وخبائث الجسمانية، لذلك نستعيذ بالله تعالى منه لأننا نتذكّر بذلك الجنّة التي هي موطننا الأصلي حيث تجرّد النفس والطيب التام فيها والتنزّه عن الجسم الطبيعي المتغيّر الخبيث والأخذ مباشرة عن الله تعالى الذي "يُطعِم ولا يُطعَم" خلافاً للطبيعة التي تُطعِم وتُطعَم فتُقيِّد الإنسان بها ولا تحرره كالحق تعالى ودار السلام الآخرة. فالاستعاذة ليست من شرّ في الدنيا، لكنّها من شرّ الدنيا كلّها بالإشارة إلى طبعها الغالب من حيث جسمانيتها ومادّيتها ومخالفتها لحقيقة النفس المجرّدة والروح المقدّسة والآخرة العليا. وقس على ذلك. الأمثال تُشهدك الحقيقة الآن، المادية ضلال في ضلال. والذي يزعم أن مقاصد الشريعة مادّية فقط أو الغالب عليها المصالح المادّية في الدنيا، سيضطر من جهة إلى تكميم أفواه المفكّرين وإلجام العوام عن علم الكلام ومغالطة العالِمين، ومن جهة أخرى سيضطر إلى الدخول في منافسة مع الذين تجرّدوا للمصالح الدنيوية وأخلصوا لها وسيكونوا خير منهم فيها بدرجة أو بأخرى ولابد من التعصّب الأعمى وتحريف ما عند الغير ومنع الناس من الاطلاع عليه بوجه أو بآخر حتى ينجحوا في مسعاهم الوهمي هذا. أهل الدنيا حرّفوا الشريعة من مقصدها الأصلي الذي هو ذكر الله والنفس والآخرة، إلى ذكر المال والجسم والدنيا. ومن أبدع ما قاله أهل الفقه الحقيقي في تعريف الفقه هو قول أبي حنيفة رحمه الله "الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها"، ومعرفة النفس تعني ضمناً معرفة الله ومعرفة الآخرة التي هي الدار الحقيقية للنفس، وما للنفس هو الروح والعلم والنور والحقيقة، وما عليها هو المادّية والغفلة والطبيعة والوهم، هكذا أقرأ التعريف.

...

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم {إن في الجنّة غُرفاً تُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها} فقيل له : لمن هي يا رسول الله. قال { لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلّى لله بالليل والناس نيام}.

الجنّة معرفة الله. والغرفة هنا هي معرفة مخصوصة وهي الوحدة المطلقة، لذلك تتحد الظهور بالبطون. وطريقها {أطاب الكلام} وهو قول لا إله إلا الله في السرّ. {وأطعم الطعام} وهو قول لا إله إلا الله في الجهر. {وأدام الصيام} وهو قول لا إله إلا الله في الأخفى. {وصلّى لله بالليل والناس نيام} رؤية كل شئ لله مطلقاً.

الجنّة العلم النبوي. الغرفة هي الكلمة. ظاهرها اللفظ والدنيا، وباطنها المعنى والآخرة. فقد تشهد الجسد دون الروح، وقد تشهد الروح دون الجسد، لكن هذه الغرفة وهي الأمثال تجعلك تشهد المعنى بواسطة اللفظ، وتشهد اللفظ بواسطة المعنى. أي إن كنت في الروح أخذت بيدك إلى الصور والأمثال المناسبة لها، وإن كنت في الجسد أخذت بيدك إلى الحقيقة والتأويلات التي

هـي أصـلها. فـهذا رؤيـة الـظهور مـن الـبطون، والـبطون مـن الـظهور. وهـذا شـأن الـقرءآن، وأهـل القرءآن هم أهل هذه الغرفة. لذلك {أطاب الكلام} وهو كلام القرءآن الطيب كلّه، فإن أطاب كلامه بالقرءآن بدأ بالزهد في الدنيا فينفق ماله على المستحقين شرعاً له فيكون من أهل إطعام الطعام الجسدي، وإن أطاب كلامه بالقرءآن امتلأ بالعلم بالآخرة فينفق حكمته على الطالبين القابلين فيكون من أهل إطعام الطعام الروحي. ومع ازدياد روحانيته بفضل طيبه ونفقته وبركة ذلك عليه، يزداد ميله إلى التقلل من الدنيا والماديات فيكون من أهل {أدام الصيام}، إذ يجد في الصيام خفة الجسد والفراغ من شغل الدنيا وأهلها والإقبال بالسرّ على الله تعالى والكينونة في حالة رمضان المناسبة لتنزّل معاني القرءآن عليه وانكشاف حقائقه له. ومع الوقت يحصل له انقطاع إلى جهة الغيب إذ صار حقيقة له وانكشف عنه الغطاء فلم يبال بالدنيا وأهلها فيكون من أهل {صلّى لله بالليل والناس نيام} فهو يصلّي لأنه عرف أن الصلاة هي أسمى الأعمال الروحية التي يعرج بها إلى الآخرة وقرب الله تعالى، ويصلّي لله لا لغرض غير شهود الله والتقرب منه لأنه ذاق منفعة ذلك، وبالليل حيث تغيب صور الطبيعة فيزداد تركيزه على جهة الغيب وقوّة العقل، والناس نيام إذ لم يعد يبالي بما يفعله غيره لأنه صار ينبعث من فرديته التي هي حقيقة نفسه وفي الآخرة لا قيمة لغير الفرد كأصل فعاد كما بدأ خلقه "فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة" وهي تمام الفطرة والرجوع إلى الله تعالى.

...

قال سفيان الثوري رحمه الله {أهل السنّة والجماعة : مَن كان على الحق ولو واحداً}.

أقول: كيف يكون من الجماعة وهو واحد ؟ الجواب: لأن الجماعة هم الذين قال الله فيهم "يوم لا يُخزي الله النبي والذين ءامنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم" وقوله "هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتّبعني". فهي جماعة أزلية أبدية، لا جماعة زمانية مكانية طبيعية بالضرورة. فمَن كان على الحق هو في هذه الجماعة النبوية. وفرق بين أن تقول "أهل السنة والجماعة معهم الحق" وبين أن تقول كما قال سفيان وغيره {أهل السنة والجماعة مَن كان على الحق}، فالقول الثاني يدلّ على وجود مصدر للحق غير الناس، كما قال تعالى "الحق من ربّكم". فمن حصَّل هذا الحق فهو الذي انكشفت له سنّة الله التكوينية وهداه إلى سنة الآدميين التشريعية "يهديكم سنن الذين من قبلكم"، وبذلك يكون قد انضمّ إلى الجماعة النبوية المتعالية.

...

غضب الطاغية من شمس جهنّم، وبرود الزوج من زمهرير جهنّم.

...

طالب الراحة في الدنيا كطالب البرودة في النار. وطوبى لمن ذاق نعيم الصلاة.

...

هذه سفينة النجاة : اذكر الله ولا تبالي بتقلّب أحوال الدنيا عليك وعلى غيرك. فإنّ الدنيا أمواج متلاطمة، وذكر الله بالروح هو سفينة نوح.

...

كلام الأولياء كلّه من القرءآن، حتى إذا لم يخبروك بالأدلّة، فقد ينكشف لهم المعنى بغير دليل مع وجود الدليل في النص وصحّته في الاستنباط، لذلك لا تتبع الأولياء على حرف الدليل بل على اليقين والتوكّل والتسليم. يصعب هذا إلا بتوفيق الله، ويصعب هذا على مَن لم يختبر كلام الأولياء

بنار الأدلة القرءآنية والعقلية فيكتشف أنّها ذهب وكبريت أحمر مرّات ومرّات حتى يصحّ له التسليم بما لم يختبره كما صحّ له سلامة ما اختبره. أمّا الذي يُعرِض عن كلام الأولياء وأولياء زمانه جملة وتفصيلاً ولا يهمّه البحث أصلاً لا عن دليل ولا يرضى بالتسليم فهذا الذي "خسر الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين".

...
مَن زعم أن الأمر باجتناب الخمر ليس تحريماً لها، فليقل مثل ذلك إذاً في الأوثان وقول الزور إذ قال الله {فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور}.

...
إقامة شعائر الله شئ وتعظيم شعائر الله شئ آخر، وقد يقيم الشعيرة مَن لا يعظّمها. لذلك قال {ومَن يُعظِّم شعآئر الله فإنّها من تقوى القلوب}. فالتعظيم بحد ذاته تقوى، من تقوى القلوب، ومن صفات المتّقين مطلقاً الذين هداهم الله وهم المفلحون. المظهريون والمادّيون من الذين أسلموا-إسلام الأعراب-يركّزون على إقامة الشعائر ويرتابون أو يرفضون تعظيمها ولا يعرفون أصلاً كيفية تعظيمها. تقوى قوالب دون تقوى القلوب، وهذا أحسن أحوالهم. وعن هؤلآء قيل "تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم يقرأون القرءآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"، فإنه كانت لهم صلاة قالب وصيام قالب وقراءة قالب، دون صلاة القلب وصيام القلب وقراءة القلب. وإذا كانت الكعبة وهي حجارة من شعائر الله وتعظيمها من تقوى القلوب، فإن المسلم الحقيقي وهو ولي الله-الذي هو أعظم حرمة من الكعبة عند الله وحياته أعظم من الكعبة عند الله ورسوله-أحقّ بالتعظيم وبأن يكون من شعائر الله وتعظيمه من تقوى القلوب، ولذلك قال "أذلّة على المؤمنين" ولم يقل: يتذللون، بل "أذلّة" وهي أقوى وأثبت. تعظيم أولياء الله، وتعظيم كتب التصوف والفقه وما شاكل ذلك من كتب الدين، أعظم من الحجارة الشريفة وهي القبلة المعنوية لصلاة القلب. فالحمار يطوف حول الكعبة، لكن أهل الأنوار وحدهم الذين يعقلون كتب المعرفة. "والبُدنَ جعلناها لكم من شعائر الله"، والذي يرى تعظيم البُدن من تقوى القلوب، ولا يرى تعظيم أولياء الله وكتب الحكمة الإلهية من تقوى القلوب، فهو بالبُدن أشبه.

...
{لكل أمّة جعلنا مَنسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشِّر المخبتين}. تعددت الأمم فتعددت المناسك، والمقصد من وراء المناسك هو ذكر اسم الله، والإله واحد وهو الذي جعل هذه المناسك المختلفة للأمم المختلفة، فالإسلام هو الإسلام للإله الواحد وليس بتأليه المنسك واعتبار الإله الواحد لا يتجلّى إلا في منسك واحد واسم واحد، {فله أسلموا} وليس لها، للإله الواحد أسلموا، وليس للمَنسك الذي جعله لكم ولا لصورة الاسم الذي تذكرون الإله الواحد به. الذي يشهد الإله الواحد في كل المناسك المختلفة الصورة المتّحدة المقصد الأعظم هو الموحّد المسلم للإله الواحد حقّاً وصدقاً.

{لكل أمّة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا يُنازعنّك في الأمر وادعُ إلى ربّك إنّك لعلى هدى مستقيم}، فلا تجوز المنازعة في المناسك، صورة المناسك، لأن كل المناسك من الإله الواحد، فهذا انتصار للعالَمية. ويجوز الدعاء إلى المنسك الخاص بك الذي آتاك إياه ربّك وأنه هدى مستقيم يوصل إلى مركز الحقيقة للإله الواحد، وهذا انتصار للخصوصية. فالآية جمعت بين النظرة الكلّية العالمية، والنظرة الجزئية المحلّية، بتوازن تام وحكمة بالغة.

{وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون} وهذا دواء الذين يجادلون ضدّ الكلّية بالجزئية، أو ضدّ الجزئية بالكلّية. فمشرق الكلّيات ليس فيه حجّة ضد مغرب الجزئيات، ومغرب الجزئيات ليس فيه حجّة ضدّ مشرق الكلّيات. بل لله المشرق والمغرب، وهو الواسع العليم، {الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون} ففي الدنيا يجب ترك أصحاب المناسك من جميع الأمم ليعملوا بها في حدود أنفسهم وأموالهم، ولا يجوز إكراههم ولا التغيير عليهم بالقهر، والحكم لله لا للبشر في هذه الأمور.

...

يشمت بعض المنافقين بالمهاجرين بدينهم حين تصيبهم المصائب في مهاجرهم أو بعد هجرتهم، ويرون من عماهم أن ذلك دليل غضب الله على هؤلاء المهاجرين، وكأنّهم لم يقرأوا قوله تعالى {والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتِلوا أو ماتوا ليرزقنَّهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين}، فقد يهاجر ثم يُقتَل، وقتله بعد هجرته دليل تفضيل الله له لا دليل غضب الله عليه. والموعد القيامة.

...

لا ترحم الشيطان، ولا ترحم الطاغية، ولا ترحم الوهابي. فإنك إن رحمتهم رأوا ذلك فيك ضعفاً وانقلبوا عليك بأسوأ مما ظلموك به ابتداءً ويعتقدون بأن الله خلّصهم من يدك لكي يعتدوا عليك مرّة أخرى.

...

آية ٤٦ و ٤٧ من سورة يس : حكاية وخبر.

آية ٥٩-٦٥، خصوصاً ٦٠-٦٥ : أيضاً خبر عن الآخرة وحساب المجرمين. لذلك لم نكتب أمر "اعبدوني" وغيره في الشريعة القرآنية.

...

في ذاكرتي دقائق أرى وأذكر الآن ما كان قبلها فوراً وما صار بعدها فوراً، وهي عندي كشريط أشهد كل مقاطعه، إلا مقطع واحد بين مقطعين مشهودين، وهذا المقطع الواحد عندي أسود محجوب لا أراه ولا أشعر به ولا أدري ما حصل فيه، ولم يكن معي حينها إلا شخص واحد شهد حالتي حينها ولا يدري ما وقع لي ظاهراً من البشر سواه. وحصل لي التحوّل من الجاهلية إلى الإسلام، وتغيّر حالي من حال إلى حال، وأصلحني الله في تلك الليلة، حتى أني الآن حين أتذكّر شخصيتي وحالي ما قبل ذلك المقطع بلحظة فما قبلها وما بعد ذلك المقطع بلحظة فما بعدها أرى شخصين مختلفين تماماً، ولا أرى نفسي اليوم إلا الشخص الثاني، وأمّا الأوّل فأنظر إليه وكأنّي أنظر إلى غريب أو ميت أو مجهول أو مظلم. لم يزل الناس يسألونني وأسأل نفسي عن سبب تحوّلي من الجاهلية إلى الإسلام، وكنت أجيب بأجوبة مختلفة ولا أستطيع أن أضع يدي على السبب ولا الوقت بدقّة، وظللت على هذا الحال أكثر من أربعة عشر سنة، قبل بضعة أيّام فُتِحَ لي بوقت الجذبة الإلهية كان في ليلة مظلمة وهي في ذاكرتي ليلة مظلمة.

...

الفقه الأيسر مبني على قواعد:

١-العام يؤخذ على عمومه والمطلق على إطلاقه.

٢-يكفي من العمل أقلّ ما ينطلق عليه اسمه، الأقلّ كمّاً والأقلّ كيفاً.

٣-الخلاف بين الفقهاء يبيح الاختيار.
٤-الأبعد من التكليف هو المختار.
٥-للشريعة درجات يُجزئ أقلّها.
٦-ما لم يُعتدى على حقوق الناس نأخذ الأيسر.

مثال: مسألة التكبير في الصلاة. قال القاضي ابن رشد رحمه الله {اختلف العلماء في التكبير على ثلاثة مذاهب. فقوم قالوا "إن التكبير كلّه واجب في الصلاة"، وقوم قالوا "إنّه كلّه ليس بواجب" وهو شاذ، وقوم "أوجبوا تكبيرة الإحرام فقط" وهم الجمهور.}

أقول: في الحديث "ثم كَبِّر" و "تحريمها التكبير". فتطبيق القاعدة الأولى يوجب أخذ أوسع معاني التكبير، وهذا يؤثر على مسألة صيغة التكبير بشكل مباشر لأن البعض قالوا يجزئ أي صيغة فيها تكبير بشكل عام أي الله أجل والله أعظم أو حتى التكبير بلغة غير العربية، وحمل كلمة التكبير على أوسع معانيها يبيح كل ذلك، لكن في المسألة التي ننظر فيها نطبّق القاعدة لثالثة وهي أن الخلاف بين الفقهاء يبيح الاختيار، وحيث أنه يوجد خلاف هنا فتعيّن علينا الاختيار بين أقوالهم. وبتطبيق القاعدة الرابعة نبحث عن الأبعد من التكليف، وبما أنه يوجد قول أن التكبير كلّه ليس بواجب، فيتعيّن الأخذ به، ولا نبالي كونه شاذّاً أو خلاف ذلك من الأوصاف طالما أنه لا يتعلّق بحقوق الناس. بالتالي، الفقه الأيسر يقضي هنا بالأخذ بالقول الثاني الذي حكاه ابن رشد وهو أن التكبير كلّه ليس بواجب.

وقس على ذلك بقية المسائل. وينبغي وضع كتاب يُسمّى "الفقه الأيسر" بحيث يُنظَر لكل مسائل الشريعة بحسب هذه القواعد الست. ويمكن أيضاً وضع كتاب يُمسّى "الفقه الأعسر" فيكون عكسه، يختار من كل مسألة أكثرها تكليفاً وأشقّها على النفس. ولذلك فوائد كثيرة، منها أن يبدأ المسلم الجديد والسالك المبتدئ بالفقه الأيسر، ثم يتدرج إلى أن يبلغ الفقه الأعسر. وفوائد أخرى.

...

{يس قلب القرءآن} لماذا؟
لأن أوامرها أربعة، قل واضرب لهم مثلاً وبشّر المؤمن ولا يحزنك الكافر، وهذه خلاصة الرسالة وجوهر عمل الرسول في الأرض. وَلأن فيها ذكر آيات الآفاق والأنفس. وَفيها ذكر الوحدة الإلهية. وَفيها ذكر آيات الدنيا والآخرة. وَفيها ذكر الماضين واللاحقين.

...

أن تأخذ ألفاظ السلفية لانتقاد الشيخ ابن عربي يشبه أن تأخذ نباح كلب لانتقاد جبريل.

...

يهدم الدين الشرك والكذب وأخذ العلماء الأموال من الحكومة أو العامّة.

...

لأن أعتاش بالزنا أحب إليّ من أن أعتاش بديني. فإن الاعتياش بالزنا معصية تضرّني، لكن الاعتياش بالدين كفر يضرّ الأمّة كلّها.

...

الرد على حجّة "الإسلام بسيط بدليل حديث الأركان فلا داعي لتعقيد الدين كما فعل أهل الكلام والفقه على ممر العصور". أقول:
١-الدين درجات. ولا يصح نقض الأعلى بالأدنى. فالجنّة درجات، ودرجاتها تدلّ على وجود درجات في نفس الدين.
٢-الدين مواضع كثيرة. حديث الأركان ذكر بعض تلك المواضيع وليس كل مواضيع الدين، والدليل استقراء الكتاب والسنّة. بل حتى المواضيع التي ذكرها حديث الأركان إنّما ذكر الأسماء ولم يذكر تفصيلها، بدليل احتياج حتى أصحاب الحجّة محلّ النظر لأحاديث وآيات كثيرة لتفصيل تلك الأسماء الواردة في حديث الأركان.
٣-اختلاف العقول. بعض الناس يرضيه القليل وبعض الناس لا يرضيه إلا الكثير من البيان والحجج والبراهين. هكذا خلقهم الله، والذي أنزل الدين هو الذي خلق العقول. لذلك جاء التطويل في القرءآن والسنة حتى يتناسب مع مختلف العقول. فمَن يرضيه القليل فليس له الاحتجاج بقليله على كثير غيره.
٤-مدى التفرغ وإرادة الاجتهاد. بعض الناس متفرغ من أشغال الدنيا ويريد المزيد من أعمال الدين وعلومه حتى ينشغل بها، فيأتي الدين بسعته ليملأ له ذلك الفراغ، والعكس بالعكس.
٥-حديث الأركان ليس في القرءآن بنصّه. فلو كان الحديث هو النصّ الأعظم في الدين لجاء الله به في كتابه. المعيار الأعظم لا يؤخذ إلا من المصدر الأعظم الذي هو كتاب الله.
٦-إن كان الدين بسيطاً بالمعنى الذي يقوله هؤلاء، فلماذا جاء القرءآن طويلاً هكذاً وبهذه الطريقة من التأليف بحيث يفرّق الموضوع الواحد في عشرات السور.
٧-لماذا توجد أحاديث كثيرة جدّاً؟ فالذين يأخذون حديث الأعرابي وغيره ليستشهدوا على سذاجة الدين، إنّما رجعوا إلى مصادر روائية لو نظروا فيها كلّها لعرفوا بطلان حجّتهم ولتبيّن لهم تعقيد وطول الدين وكثرة تشعبه ودقّته. فلماذا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض؟

...
{إنّا أنزلناه في ليلة القدر}. ال{هو} من {أنزلناه} هو نقطة الوحي، نقطة النور، جوهر الكلام الإلهي. {ليلة القدر} هي قلب النبي، الليل لأنّه أمّي، ليله تام ليس فيه شئ من ضلال الفكر وحجب العقيدة وأسوار الإرادات الشخصية والشهوات النفسية. فلما صفا ليله أنزل فيه نقطة الوحي والنور، وهذه النقطة أساس كل ما تفجّر بعد ذلك من مظاهر القرءآن وإرشاد النبي وأحواله.

...
الدليل على أن روح الإسلام إنّما هي في علوم الصوفية، هي أن كل علم آخر جمد عبر التاريخ وبلغ حدّاً في النضوج لم يعد بعدها غالباً أو مطلقاً له أي مجال لسوى التكرار والاجترار ولم يبرز فيه علماء يجددونه بروح حية وذوق مشهود وحاضر يلامس أصل ذلك العلم كما لامسه الأوائل، إلا علم التصوف فإنّه لم يزل في تجدد وحياة ولم يزل له أقطاب وكبار من أهله ذوقاً وتحقيقاً وكشفاً وزيادة من يوم "اقرأ باسم ربك" إلى يومنا هذا.

...
(خمس أسباب للألم النفسي عند الذكور في العصر الحديث خصوصاً)

تخلط بين الروح والجسد. أنت تجعل ألم الجسم (وهو من التغذية أو التنفس أو الرياضة...الخ) على أنه ألم الروح (وهو من الذنب والغفلة وسوء العلاقة بالله تعالى عموماً). لذلك يصيبك الغم من ألم جسمك وكأنّك تواجه مشكلة مصيرية. الحل: لا تخلط. افرغ من حال الجسم بالسبب الطبيعي ثم انظر. (تكملة: يزداد هذا الخلط كلّما تربّى الشخص في بيئة مادية التدين، كالحشوية المعروفة اللعينة، بحيث يصير الجسم هو الروح والروح هو الجسم ولا يفهم إلا ما هو متجسّم وجسماني ومادي. لذلك وجدت شئ كثير من هذا الخلط في نفسي. ولا زلت أسعى في تنقيته)

أنت تخاف من الترك. نزعة طفولية. ترك الأم، ترك الأب، "أنا لا قيمة لي لذلك تركوني، وكل من أدخل معه في علاقة سيتركني لأني بلا قيمة". الحل: واجه هذا المعنى ولاحظه. أنت ليست طفلاً. سبب الترك في الطفولة صار مفهوماً لك اليوم فتفسيرك للقديم خاطئ من وجوه. لكنه قوي الرسوخ في النفس فيجب انتزاعه بكثرة التذكر والملاحظة والمواجهة بالقوة. (تكملة: مَن لديه إخوة أو حصل بين والديه طلاق أو حصل له عنهم فراق، وعانى من الوحدة في الطفولة ولو بدرجة ما، فإنه معرّض لمثل هذا الخوف. وأنا عانيت من كل ذلك. لذلك هذا الخوف متأصل في نفسي وشديد ولم أزل في سعي حثيث لإزالته.)

الانحراف. فيك عادة الانحراف عن سبيل القويم إلى السبل الملتوية. هذه عادة واضح أنها طفولية ولها أصل جنسي أيضاً فلا أقل من جهة التطبيق، والبدائة الاثنا عشر ومنها المداعبة الشرجية والتقبيل والمثلية هي وسائل لتعويض ما خسرته من الأصل القويم، وبالعادة صارت أمثالاً مطلوبة لذاتها أو كوسائل لا تنفصل عن غاياتها. وهذا أثر في العلاقات القويمة الرجولية، ذكر في فرج. (تكملة: هذا تابع للحرمان من الجماع السوي في الصغر، فيتحوّل إلى وسائل ملتوية لتحصيل أجزاء من اللذة الممنوعة منه بتفصيلها لاشعورياً على بدائل كثيرة. وهذا لا يخلو منه إنسان على ما أعتقد وأكاد أجزم لأنه لا يوجد إنسان معروف أو مظنون الوجود تمت تلبية كل رغباته الجنسية بمجرّد بروزها في نفسه. فلابد من الانحراف في كل نفس من هذا الوجه، ثم يزيد وينقص بعوامل مختلفة مثل مدى حرية التربية التي تعرّض لها ومدى توفّر البدائل ومدى الوقت الخاص الذي يجده ليمارسها فيه. أيضاً عانيت من هذا الأمر وكنت شديد الشهوة وتربّيت بحرية كبيرة نسبياً بحيث لم أشعر بثقل والدي عليّ ولا ثقل الرقابة فتوسّعت في البدائل الجنسية بدرجات مختلفة في كل بديل، لكن بشكل عام لم أعتبر البديل كالأصيل بل كنت أعي دوماً أنه بديل ولا زلت وأسعى للأصيل بكل جهدي بل أتألم أحياناً حين أضطر إلى بديل وأشعر بالقهر والذلّ بسبب ذلك.)

الخوف. من افتضاح حال القضيب أو ظهوره وهو غير قائم والتشكيك في الحجم. الأثر؟ السخرية، نفور المرأة، طعن في النفس، خسران الأم واللذة أو ألم الحرمان الجنسي. الواقع؟ تحملت سخرية فيما هو أكبر. والمرأة لم تتغير حتى بعد ظهور القضيب لها مباشرة والأمثلة كثيرة. هذا جانب. وآخر، ثم ماذا؟ فراغ وتحرر. لكن دقق ما يحمله في طياته من تسخط على القَدَر والاعتراض على لخالق جل وعلا. لكن لو كان كما تخاف وحصل نفور المرأة لكان أريح وأفضل. (تكملة : مع صيرورة الأعضاء الخاصّة ملكية عامّة في هذا الزمان، بحيث صارت الأفلام والصور تعرض أجسام الآخرين، وتختار منهم الأندر رجالاً ونساءً، وكذلك إضافة الإعداد

السينمائي والأزياء وزوايا الكاميرا ونحو ذلك من الخدع البصرية، انتشرت عقدة المقارنة عند العامّة، وصاروا يقارنون كل شئ عندهم بما يرونه في التلفاز والصور منذ الصغر، فنشأت عقدة المقارنة والخوف الذي يستتبعها عادة على مستويات عدة بحسب حال كل واحد وما لديه وما ليس لديه أو ما يظن أنه ليس لديه بدون أي موضوعية حقيقية ولا إدراك لأبعاد الموضوع. ومن ذلك مقارنة النساء لوجوههن وأجسامهن بالفنانات والإباحيات، وكذلك الحال مع الرجال. ومع التعرّض لذلك نشأت عقدة القضيب عند الذكور، ومقارنة كل واحد لقضيبه الواقعي مع ما يراه في التلفاز أو الصور السرية أو العلنية، ومقارنة قوّته الجنسية الواقعية مع ما تصوّره له الأفلام الوهمية والصناعية والمتكلفة، فصار من الطبيعي أن نجد تشكيكاً في رجوليتنا-خصوصاً حين كنّا صغاراً نعتبر ما نراه هو عين الواقع أو كالواقع تماماً. ومن هنا نشأت عقدة القضيب وخوف الافتضاح بالضعف والصغر والعدم القوة على الممارسة الجنسية، فإذا أضفت إلى ذلك الحرمان الطبيعي الذي يعاني منه كل صغير العمر فقد تنعكس على النفس بأن يقول لنفسه "لولا حقارتي وضعفي وصغري وهواني لما وقعت في الحرمان" وهذه الصدمة تؤثر في النفس لاشعورياً وتبقى لسنوات ولا يدري صاحبها ما حصل له. فتأمل هذا واعتبره في نفسك واحذر من آثاره. فإنّي وجدت مثل ذلك في نفسي وكشفته أكثر من مرّة.

عدم الكلام عن النفس والتنفيس بالكشف عن الذات وما يدور فيها حقاً. الحوار الذاتي. المكاشفة. الكلام عن حال النفس وأنت خائف من كذا وتريد كذا ويحدث معي كذا، هكذا. الحل: الكتابة والمصارحة المطلقة.

...
الدنيا حُلم، المخرج العِلم، والموعد الله، لا إله إلا الله.

...
{فليرتقوا في الأسباب} من سورة ص ١٠، الأمر في {فليرتقوا} جدلي مع الكفار بحسب سياق الآيات من الآية ٢ إلى ١٠ وما بعدها "جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب". فيدخل في الأوامر الجدلية مع الكفار، ولذلك لم ندخله في أوامر الشريعة القرآنية.

...
المفسد في الأرض كافر، والفجّار كفّار. {أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار}.

...
كل آيات أصحاب الجنة تنطبق
اليوم على أصحاب القرءان. مثلاً.
١-الجنة "أُكلها دائم". كذلك القرءان ينتج كلمات ومعلومات لانهاية لها كما قال "لو كان البحر مدادا لكلمت ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمت ربي". ولذلك أمرنا بأن نصلي دائماً (والصلاة الاتصال بالله عبر القرءان) فقال "على صلاتهم دائمون".
٢-أصحاب الجنة لهم فيها "أزواج مُطهرة". كل نفس لها زوج يمدها وتمده بالحياة وتوليد الحياة. والروح زوجها الروح، وآدم له روح "نفخت فيه من روحي"، والقرءان روح "أوحينا إليك روحاً"، فهما زوج. من هنا

قال عن القرءان "لا يمسه إلا المطهرون"، وعبّر عن الصلة الزوجية بما يشبه ذلك فقال "لمستم النسآء". فكلما قرأت القرءان حدثت في نفسك أولاد الأفكار والأحوال. والآيات مطهرة من كل باطل وفساد.
٣-الجنة "تجري تحتها الأنهار" ومنها الماء واللبن والخمر والعسل. كذلك القرءان له فوق وتحت، فوقه هو ظاهر كلماته وتحته هو باطن أخباره وأوامره وما بينهما من بيانات. أما الماء فيتمثل في ذكر الله، لأن به حياة الروح. وأما اللبن فيتمثل في سنن الله، لأن اللبن "لم يتغير" كذلك سنن الله لا تتغير "ولن تجد لسنت الله تبديلا". وأما الخمر فيتمثل في حب الله، لأنه لذة للشاربين ويسقيهم ربهم والقرءان يبين لك ما يحبه الله ويبين لك طريق محبة الله "فاتبعوني يحببكم الله". وأما العسل فكلام أنبياء وأولياء الله، لأنهم نحل العقل الذي يبني بأمر الله وكلامهم المصفى وأمثالهم مذكورة في القرءان.
٤-أصحاب الجنة "نزعنا ما في صدورهم من غِل إخواناً على سرر متقابلين". كذلك أصحاب القرءان، لا يحمل الواحد غلاً لصاحبه لأنهم يعرفون اتصال كل واحد بربه وأخذه منه، وهم إخوان لأن مصدرهم واحد هو كتاب الله، وحوارهم سلمي لا إكراه فيه ويحترم كل واحد وجهة وكشف واجتهاد صاحبه.
٥-في الجنة "كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً". وكذلك قراء القرءان بالتعقل سيجدون القرءان "منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات"، كيف؟ القرءان فيه أمثال مختلفة كقصص الأنبياء، لكن إذا عقلت قصة موسى مثلاً ستتصل إلى حقائق معينة، فإذا عقلت قصة عيسى ستجد نفسك وصلت في النهاية إلى نفس الحقائق التي وراء قصة موسى، فستقول حينها "هذا الذي رُزقنا من قبل"، فالقرءان وحدة معنوية في كثرة صورية، والصور الكثيرة تؤدي إلى مركز واحد هو الحقيقة الإلهية "وأن إلى ربك المنتهى".
وعلى هذا النسق، الجنة تتجلى في القرءان وأهله. "لمن خاف مقام ربه جنتان"، جنة اليوم بالقرءان وجنة غداً بفضل الرحمن.
...
من آيات أصحاب الجنة
الذين هم أصحاب القرءان قوله تعالى في سورة يس:
١-(إن أصحاب الجنة اليوم في شُغلٍ فاكهون).
يقول (اليوم) لأن أصحاب القرءان يحيون اليوم، لا في الماضي ولا في المستقبل، فهم يعرفون الله اليوم ويشهدون سننه وآياته ويحضرون عنده بروحهم اليوم والآن.
يقول (في شُغلٍ) لأن أصحاب القرءان ينشغلون طوال حياتهم وعبر يومهم كله إما بقراءة القرءان وإما بالعمل به ومشاهدة معانيه في واقعهم الحالي. فهم ليسوا أهل فراغ وبطالة. لكن هذا الشغل هو من نوع (فاكهون) يعني في حالة تسر وممتعة ولذة وانبساط، ليس شغلاً مزعجاً ومقرفاً على نمط "عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية" ممن يعمل كالجن المسخرين لسليمان الذين لبثوا "في العذاب المهين" لأنهم لا يعلمون غيب وملكوت وحقائق وباطن الدنيا.
٢-(هم وأزواجهم في ظِلال على الأرائك مُتكئون).
زوج الروح الإنساني هو الروح القرءاني. (في ظلال) الظل له أصل يمتد عنه فهو تابع، الدنيا كلها ظل وأصلها الآخرة والملكوت، فأصحاب القرءان يعيشون مع القرءان في الدنيا لكنهم بفضل تعليم القرءان يرون الدنيا كظل للآخرة والظاهر كظل للباطن والمُلك كظل للملكوت، وهذا النظر يحميهم من الاحتراق بشمس المادة التي تُعذب النفس وتفني الجسم وتُدخِل الفكر التابع للحواس في دوامة الهلاك المستمر.

لذلك حالة أصحاب القرءان هي الراحة العقلية المعبر عنها ب(على الأرائك متكئون) فكل واحد متكئ على أريكته يشاهد ما يفعله الله في الكون وينتظر وعد الله الحق وهو مطمئن القلب بالله وحديثه.
٣-(لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون)
الفاكهة هي معاني القرءان التي تغذيهم وتمتع عقولهم ونفوسهم كما قال تعالى عن الكلمة الطيبة "تؤتي أكلها كل حين". فلهم في القرءان معاني تناسب كل واحد بحسب درجته وحالته. ثم لهم ما يدعون وهذه إشارة إلى إرادتهم، بمعنى أن الله يستجيب منهم الدعاء ويعطيهم سؤلهم، فدعوتهم مستجابة لأنهم أهل الاستجابة "أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي". فأصحاب القرءان تتفكه عقولهم بمعانيه وتتحقق إرادتهم ببركة حياتهم به وفيه.
٤-(سلامٌ قولاً من رب رحيم)
هم في سلام مع الله وسلام مع خلق الله عموماً فهم أهل السلام لذلك جاء الأمر "ادخلوا في السلم كافة" و "إن جنحوا للسلم فاجنح لها". فهم الآن في بواطنهم في "دار السلام"، ويسعون لتحقيق السلام في ظواهرهم أيضاً.
وقوله (قولاً من رب) يشير إلى أعلى درجات ترقي أصحاب القرءان وهي الاتصال به تعالى بلا واسطة وتلقي فهم القرءان عنه مباشرة. فمن البدء بالاشتغال بالقرءان إلى الانتهاء عند "الرحمن. علَّم القرءان". رب أصحاب القرءان هو السلام وهو الرحيم. والحمد لله رب العالمين.
...
من ظهور الجنة في القرءان وأهله
قوله تعالى لآدم عن الجنة "إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى".
١-ما هو الجوع؟ هو أن تريد تتعلم شيئاً فلا تجد المعلومة. أن يكون لديك سؤال بلا جواب في أمور الروح والحقيقة الأخروية بالأخص. فالقرءان روح جاء لتكميل الروح. ولنفي الجوع عن روح الإنسان بالقرءان قال "وعلمك ما لم تكن تعلم" و "اتقوا الله ويعلمكم الله". وقال عن خليفته داود "علمه مما يشاء". فأصحاب القرءان إذا سألوا الله عن شيء علمهم، لذلك تجد آيات صيغتها "يسألونك..قل"، فالسؤال دليل فراغ معدة العقل، والجواب طعامه وهو طعام "قل" القدسية. وكذلك "يستفتونك قل الله يفتيكم".
٢-ما العري؟ الحقيقة لها تجرّد وتجسّد، التجرد هو الفكرة بلا مثال، التجسد هو المثال الذي يغطي الفكرة في صورة ولون معين. فالمعنى عاري والمثل لباسه. وستجد في القرءان كشف للمعاني وللأمثال في آن واحد. مثلاً، قوله "مثل الذين حُمِّلوا التورىة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا"، لاحظ هنا جمع بين المعنى المجرد "حملوا التورىة ثم لم يحملوها"، وبين ضرب مثل له وتغطيته بلباس طبيعي هو "كمثل الحمار يحمل أسفارا". وهكذا ستجد القرءان يجمع بين العقل والمثل. أنت كذلك أحيانا تكون لديك أفكار ومعاني لا تستطيع التعبير عنها لأنك لا تملك أمثالاً لها تقربها وتبرزها في الظاهر، فيكون عقلك عارياً يحتاج إلى لباس وهنا يأتي القرءان الذي ضرب الله لنا فيه "من كل مَثَل" حتى يوفر لك اللباس.
٣-ما الظمأ؟ هو نقص الماء والماء سبب الحياة والحياة من الحي تعالى، فالماء مثل على ذكر الله، والقرءان لا يظمأ أهله لأنه كله ذكر لله ويريك كل شيء من عند الله وبعين الله وتحت قدرة الله وفي تدبير الله.
٤-ما الضحى؟ أن تصيبك الشمس فتحر وتتأذى بها، يعني فقدان البيت. الشمس الظاهرة بحرارتها تؤدي إلى هلاك الجسم فهي رمز على سبب الفناء. وبما أن "كل مَن عليها فان. ويبقى وجه ربك". فبيتك الحقيقي الذي يقيك من حر شمس الفناء هو الشيء الذي تسكنه نفسك فيعطيها البقاء في النعيم أبداً،

وهذا هو القرءان، لأنك فيه سترى وجه ربك الذي تجلى لك في كلامه، وستعرف كيف تتوجه إلى وجه ربك الأعلى فيخلصك من فناء البدن والدنيا إلى بقاء النفس ونعيم الآخرة والنظر في الملكوت. فالدنيا كلها شمس يضحى أهلها ويحترقون لحظة بلحظة تحت قهرها، وبيتهم هو بيت الله الذي هو كتابه العزيز وحصنه الأعظم.

الخلاصة : يا بني ءادم ادخلوا جنة ربكم التي هي كتابه ولا يخرجنكم منها شياطين يعدونكم بالخلد في الدنيا وعدم بلاء ملككم فيها ويوهمونكم بأن "النجاح" هو تحصيل الخلد والملك في شجرة الطبيعة المادية التي ستجعل نفوسكم تهبط إلى حضيض "كالأنعام بل هم أضل سبيلاً".

...

أمة القرءان اليوم في حيرة مظلمة

ويمكن إرجاع ذلك لسببين كبيرين هما:

الأول، عدم احترام الكلمة. القرءان كلمة، وكلما ازداد احترامنا لقيمة الكلمة في حد ذاتها كلما ازداد انتفاعنا به. الكثير منا يعتبر الكلمة شيء غير مهم، ومنا من يجيز لنفسه-خلافاً لكتاب الله-الاعتداء على بدن إنسان وماله بسبب كلمته فقط بدلاً من رد الكلمة بالكلمة الأحسن منها كما بيّن الله في كتابه. الكلام أهم كاشف للإرادة والعقل، وخلاصة الإنسان في إرادته وعقله، فحيث لا يُحترَم الكلام لا يُحتَرَم الإنسان.

السبب الثاني، النزعة الأبوية عند العامة. أكثرنا يعيش مثل الطفل الذي اعتاد على رعاية أبيه له، وفي الماضي كان على العامة سور يحجزهم عن فكر وقوة الغرباء، بعد زوال هذا السور بسبب الضعف والاتصالات، صار أكثرنا كطفل ضائع يبحث عن أب جديد يقلده، فلما جاء الاستعمار الغربي وجد الطفل أباه الجديد ووقع نزاع معروف فيه. فصارت الأمة في حيرة، وصار من الشائع أن تجد ظاهرة تعدد الشخصية، فتأتي الواحد بشيء من القرءان فيقول لك "لكن لنهتم بالعصر ومقتضياته"، فإن جئته بالعصر ومقتضياته قال لك "لكن ديننا هويتنا يجب أن نعتز بها"، فإذا جئته بالدين قال لك "لكن العقل أساس الدين ولكل واحد رأيه والله حسيبه"، فإذا جئته بالنسبية الدينية وحرية المعتقد قال لك "لكن هذا تفلت وانحلال وسبب للردة وضلال المجتمع" وهلم جرّاً في دائرة كل حلقة منها تنكر نفسها وتدعو لغيرها والنتيجة شلل العقل والإرادة معاً. حين كان الجمهور طفل له أب واحد يوجهه كان قوة هادفة، لكن لما تعدد الآباء تشتتت القوى وصارت هباءً منثورا.

هذا هو الداء فما الدواء؟ هو دواء مُركَّب من ثلاثة عناصر، وكلها في القرءان: الفردية والإنصاف والدراسة.

أما الفردية فهي ضد الأبوية، يعني أن يرى كل واحد نفسه كفرد كامل له عقله وإرادته المستقلة والمُعتَبَرة عند الله وعند الناس.

وأما الإنصاف فهو أن لا يُرَد على الكلمة إلا بالكلمة فقط.

وأما الدراسة فهي أن يسعى كل فرد في دراسة كتاب الله بنفسه لنفسه أولاً.

...

يحاول الكثير في الغرب والشرق

إظهار الغرب وكأنه في قطيعة مطلقة مع الإسلام ورسول الإسلام. إن سمعت هذه الدعوى من قبل فاقرأ ما يلي:

حاول أن تعرف لمن هذا التمثال الذي في الصورة وأين محله. اسمع القصة : في سنة ١٩٣٥م افتتحت الدولة الأمريكية مبنى محكمتها العليا في واشنطن. وهو مبنى رأس السلطة القضائية في الولايات

المتحدة كلها. داخل هذا المبنى وضعوا تماثيل لثمانية عشر شخصاً ورمزاً من أهم رموز التشريع والقوانين في التاريخ كله عندهم حتى زمنهم. ومعظم التماثيل لأشخاص أوروبيين مثل نابليون وجاستنيان ونحو ذلك. لكن من بين هذه التماثيل هو الصورة التي وضعتها أعلاه، وهي لتمثال صنعوه للنبي محمد عليه الصلاة والسلام. نعم. الحكومة الأمريكية نحتت تمثالاً تعظيماً للنبي كمُشَرِّع وصاحب رسالة تشريعية (سنة ١٩٣٥م).
والتمثال يرمز للنبي وهو يحمل القرءآن وعلى الصفحة آيات بالعربية (نعم! آيات قرآنية منحوتة داخل مبنى المحكمة العليا الأمريكية)، والقرءان عند جهة اليسار عند القلب تحديداً، والرمزية هنا قوية جداً. وهنا ملاحظة كبيرة، لاحظ أنهم يصورون النبي حاملاً لسيف بيده اليمنى ويضع السيف بوضعية غير هجومية (الرأس للأسفل وليس سيفاً مشهوراً للأعلى) والسيف موضوع أمام القرءان وعليه، بالإضافة إلى أنه لا يمسك السيف من مقبضه كما هو الحال لو كان يحمله للهجوم به لكن التمثال يُظهره يحمل السيف من متنه وهي وضعية غير هجومية بالمرة وتشبه أن تُمثّل شخصاً يريد أن يُظهر السيف لإبعاد الخطر عن كتابه ونفسه بإعلام عدوه أن بيده سيفاً فقط، وهذه الصورة ترمز إلى أن سيف النبي لم يُشهَر إلا لحماية القرءان، أي هو في وضعية دفاع واستعداد للدفاع عن هذا الكتاب، تأمل الصورة وانظر ماذا ترى.
أول ما عرفت عن هذا التمثال هو حين قرأت كتاب رئيس المحكمة العليا السابق وليام رينكويست الذي ألفه للعامة من غير المتخصصين وهو كتاب مختصر، ومع ذلك ذكر حادثة وقعت له وهي أن جمعيات من الإسلامويين الأمريكيين تقدمت لهم بطلب إزالة تمثال النبي أو على الأقل إخفاء الوجه وذكروا حججاً. تم رفض طلبهم من القاضي الأمريكي الأبيض المسيحي ! نعم، القاضي المسيحي أراد إبقاء تمثال نبي الإسلام في أعظم محكمة في كل أمريكا بجانب عظماء التشريع عندهم، بينما "الإسلاميون" أرادوا إزالته.
تنبيه : التمثال من سنة ١٩٣٥ تقريباً، يعني لم يكن ذلك للتقرب من المسلمين الذين كانوا في وضع عزلة تقريبا عن العالم والدولة العثمانية كانت ساقطة. فلم يُصنَع التمثال مداهنة لأحد ولا خوفاً من أحد (بل أكثر الناس أمريكان وغيرهم لا يعرفون بوجوده أصلاً) بل صُنِعَ كتقدير خالص للمُشرِّعين العظماء. فتأمل.

...
(اقترب للناس حسابهم وهم
في غفلة معرضون.) ما معنى هذا الاقتراب؟ إن كان المقصود قرب القيامة الكبرى زمنياً، فمن الواضح أن القيامة لم تقم حتى بعد أكثر من ألف سنة من نزول الآية. وإن كان المقصود اقتراب موت كل إنسان، فأيضاً هذا غير مفهوم لأن الناس تختلف أعمارهم ولوجب أن تقول الآية "اقترب للناس أجلهم" وليس (حسابهم). وإن كان المقصود اقتراب حساب الله لهم لقالت الآية "اقترب حساب الناس". فما المعنى إذن؟
(اقترب للناس حسابهم) يعني القرءان. لماذا؟
الدنيا دار عمل والآخرة دار الجزاء. فإذا مات الإنسان انتهى عمله، بالتالي لا قيمة لقرب أو بعد يوم القيامة بالنسبة له لأنه لن يجد غير الجزاء أمامه. فالرحمة تكون بكشف ميزان حساب الإنسان له وهو ما يزال في الدنيا، حتى يستطيع أخذ هذا الميزان ووزن أعماله الظاهرة والباطنة به فيُحاسِب نفسه بالميزان الذي سيُحاسبه به ربه وسيتحدد به مصيره. فحسابك بعيد عنك عقلاً لأنك لا تعرف ميزانه

ومعياره. فلما نزل علينا الكتاب الحق اقترب منا حسابنا. لذلك بعد آية (اقترب للناس) قال (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون. لاهية قلوبهم).
الوزن عند الله هو الحق كما قال (الوزن يومئذ الحق). والحق مبين في القرءان، حق العلم وحق العمل، والأمثال مضروبة حتى يزن كل واحذ نفسه ويرى أين هو في هذه الأمثال فيعرف عاقبته.
(اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً). فحين تقرأ القرءان اعتبر نفسك عند الله يوم القيامة وزِن نفسك به. ولا تخادع نفسك، فإنك إن خادعت نفسك في الحساب اليوم لن تفلح في ذلك غداً.
من الواضح أن القدرة على محاسبة النفس تحتاج إلى شجاعة عظيمة وبصيرة ووعي أعظم وقدرة هائلة على النظر بموضوعية للنفس. فالمحاسبة الذاتية غاية ستدفعك إلى تحصيل البصيرة الثاقبة بحيث تتدرج من مراقبة عملك الجسماني إلى درجة أعلى وهي مراقبة الأفكار والمشاعر إلى درجة أعلى وهي مراقبة النية الخفية والخواطر السريعة المخفية وهكذا تتدرج في النظر حتى تصل إلى عمق أعماق وجودك وأسرارك الكبرى.
الكتاب وسيلة للحساب، والحساب وسيلة ستجعلك من أولي الألباب.
...
العقل له ثلاثة وجوه
وجه يشاهد منه سرّ الوعي، وهو الذي ينفتح منه على المطلق الحقيقي ويرى الحقيقة الوجودية الذاتية التي هي أعلى من كل شيء و المتجلية بكل شيء.
ووجه يشاهد منه الكليات، فيفهم حقيقة الإنسان المجردة وحقيقة كل شيء كلي وعام وجوهري.
ووجه يشاهد منه الجزئيات، فيعرف أن هذا الشخص فلان هو مظهر للإنسان الكلي وهكذا في كل مظهر جزئي آخر له خصوصيته وأعراضه وصفاته التي تميزه عن بقية الجزئيات.
طيب، ما علاقة هذا الكلام بآية (لن يدخل الجنة إلا مَن كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم)؟
لأن الإنسان في الدنيا فهو ميّال إلى النظر فقط في الجزئيات، لكنه بعد ذلك يبالغ وينكر الكليات ولا يعترف أصلاً بسرّ الوجود والوعي. يصير عقله محصوراً في الوجه الجزئي مع تضخيم الجزئي بجعله هو الكلي ولا شيء غيره ولا وراء له وإن كان حقاً مثله. من هنا يأتي قول (لن يدخل الجنة إلا مَن كان) على ملة جزئية ما. لاحظ في المقابل أن القرءان ذكر شيئاً واحداً هو الذي لا يمكن بحال من الأحوال أن يدخل صاحبه الجنة وهو الشرك بالله "من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة" "ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء". لأن حقيقة الجنة هي العلم بالله، والله واحد أحد، وهي الحقيقة الوجودية المطلقة بأتم معاني الإطلاق. الشرك يعني انحصار العقل في الوجود النسبي والمقيد، وبما أن الألوهية سقف أي رؤية وجودية فاعتقادك في الألوهية سيحدد إطار رؤيتك للوجود وموقعك فيه.
العلم بوحدة الله يعني أن العقل سينفتح على كل أبعاد وتفاصيل الوجود الحق، لأنه لن يتقيد بأي سقف نسبي ومقيد. بالتالي سيتوجه لكل سر وكلي وجزئي ويعرفه كما هو بدون أن يضخمه أو يقزمه أو ينكره. لذلك رداً على اليهود والنصارى قال (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. بلى مَن أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون). فأرجعهم إلى البرهان ودلهم على إسلام الوجه لله أي لا يكن وجهك متوجهاً إلى أي موجود أو مفهوم نسبي ومقيد ومحدود بل يكون لله تعالى فيكون وجهك مطلقاً حُرّاً.
كل مَن يجعل طائفته المتعلقة بالجزئيات هي مفتاح الجنة فهو يعيش الأماني لا غير.

من علامات الانحباس في الجزئيات: الانغلاق الديني والفكري والوجداني. والعكس أهل الوحدة الإلهية هم الذين قيل لهم "جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا"، أي الذين يستطيعون تبادل المعرفة والنظر في كل معارف الأمم والملل والنحل والطرق بلا استثناء.
جنة المعرفة هي للعارفين بالوجود المطلق حقاً والذين يتمركز سّرهم فيه وحده لا شريك له.

قال : كيف تزداد معرفة الإنسان وقد مات !!
قلت: مات جسمه ولم تمت نفسه. فان النفس خالدة. لذلك حتى عن أهل النار قال "كلا سوف تعلمون" . وقال "فسوف يعلمون". وقال "لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون". وهكذا أثبت حصول زيادة في العلم بعد موت الجسم حتى لأصحاب النار فما بالك بأصحاب الجنة. لذلك من دعاء النبي والذين ءامنوا في الآخرة "ربنا أتمم لنا نورنا" والنور علم، لذلك ختم آية النور باسم العليم. وهكذا نعيم الجسم بالشهوات ونعيم النفس يالمعلومات. وبما أن الجنة هي دار النعيم الكامل، فلابد أن يكون فيها زيادة علم.
قال: نعم المعرفة تزداد ولكن ليس النفس التي تعرف بل نحن القلوب مع العقول هذا يعني ان الله يرجع لنا النفوس لكي ترجع لنا الحياة ولنعلم ونعرف مرة اخرى
...
الذي يضع يده
داخل فرن مشتعل مصنوع للطبخ ثم يستغرب من احتراق جلده هو شخص نائم أو جاهل.
كذلك الذي يدخل الدنيا ثم يستغرب من وجود الجهد والتعب. الدنيا فرن مشتعل مصنوع لطبخ النفوس وجعلها ناضجة مستعدة للآخرة ولقاء الله.
وهنا الفاصل بين العاقل والغافل: الغافل يتعب في الدنيا للدنيا فقط وهذا كمن يستعمل نار الفرن ليحرق يده بدلاً من طعامه. العاقل يتعب في الدنيا لتنظيم ونمو الدنيا من أجل عمل الآخرة والباطن.
ولذلك قال "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين".
لاحظ وجود ثمانية، خمسة نفوس وثلاثة أموال. والجامع بين الثمانية هو إما أنها علاقات اضطرار (فلا أحد يختار مثلاً أن يكون والد أو ولد مَن)، وإما أنها وسائل مادية هدفها الفرا غ والراحة من الحركة المقلقة في الأرض. أي تدور بين الاضطرار والمادة. لكن في المقابل "الله ورسوله وجهاد في سبيله" هي علاقة اختيار لا إكراه فيها إذ "لا إكراه في الدين"، وهي علاقة أساسها الروح والجانب الغيبي فيك كما قال "يؤمنون بالغيب" وقال "ليعلم الله مَن ينصره ورسله بالغيب".
فالآية تميز بين طريقين في الحياة للإنسان :
طريق المتربص الذي يجعل أساس ومحور حياته الأصناف الثمانية وهذا سيعيش في حالة تربص بمعنى ينتظر بقلق حدوث مصيبة له لأن الدنيا بالضرورة ستصيب هذه الأصناف بمصائب بسبب أو بآخر وهي منفصلة عن نفسك فلا سلطة قاهرة لك عليها ولا ضمان لديك ببقائها معك. الخوف والقلق والاضطراب عواطف حتمية في نفس المتربص.
و طريق المُحب الذي يجعل أساس ومحور حياته الله ورسوله والعمل في السبيل الذي بينه بكتابه، وما وافق وساعد على هذا العمل من شخص أو شيء يُصبِح ذا قيمة بالتبعية للأساس، والعكس بالعكس في الحدود المرسومة في الكتاب العزيز. وهي حياة يغلب عليها شعور المحب بحريته من تقلبات الدنيا،

وشعوره بقوة إرادته ونفاذها في وجوده، ودوام الترقي من علم إلى علم وكل تجربة تكسبه نصراً ولو كانت صورتها هزيمة، وعاقبته بضمان الله خلاق العوالم ومنشيء الأكوان هي الفوز العظيم.
المتربص والمحب لا يجتمعان. فإما المتربص سيرى المحب مجنوناً يضيعه، وإما المحب سيرى المتربص ناراً تحرقه. افترقت الطرق فافترق السالكون.
نفسك تمرّ بنار الابتلاء بالخير وبالشر حتى تتعلم حقائق الوجود وتستيقظ وتعرف موطنها الأصلي. لا توجد راحة تامة في هذا العالَم، لكن يوجد جهد مريح ولذيذ يشبه جهد لاعب الرياضة الذي يتعب لكنه يستمتع. الدنيا ملعب المستبقظين وسجن الغافلين. إذا رأيت الرؤية الكلية سترى موقعك في الوجود بوضوح ومن بعدها ستكون في حياتك كالرياضي وليس كالمحكوم عليه بالأشغال الشاقة. اقرأ الوجود ككتاب حتى لا ترى الوجود كعذاب. صاحب المستبصرين حتى لا يُعميك الجاهلين. اطلب الرحمة ممن يعرف وارحم مَن لا يعرف واضحك إن عرفت فإن النصر للضاحكين.
...
لا تكن مثل الكاهن والعرّاف
الأفلام عودتنا أن نكون مثل الكهان. صرنا نجد من الصعوبة أن نتعامل مع ما يحدث الآن واقعياً أمامنا، وبدلاً من ذلك صرنا إما نحاول رسم سيناريوهات عن المستقبل ونفترض أنها هي الواقع، وإما نفترض واقعية أمور ماضية أو في الحاضر لكنها غائبة عنّا كالعرافين. والنتيجة أننا صرنا نحتاج إلى جهاد كبير للنفس حتى نكون...واقعيين!
بل ما هو أشد، ولأن عقلية الأفلام والمسلسلات عموماً درامية وغير صحيحة، فالنتيجة أن سيناريوهاتنا الخرافية تميل إلى السوداوية وافتراض الحوادث الغريبة والوقائع العجيبة.
ولأننا نكره الفيلم الممل، والممل هو المفتقد للأحداث العنيفة أو المؤلمة أو الصادمة أو المخيفة ونحو ذلك من عواطف تخرج من شجرة التشاجر التي تنبت في "أصل الجحيم"، فالنتيجة أننا صرنا نعتبر حياتنا مملة إذا لم يكن فيها شيء من تلك العواطف والصدمات، طبعاً هذا كله لاشعورياً ونحن نظن أننا عقلاء تماماً حتى نعتقد بأننا نستحق الجوائز العالمية والإلهية في اكتشاف حقائق الماضي المفقود والمستقبل غير الموجود والحاضر الغائب. إلى حد أننا إذا كنا آمنين في بيوتنا ومصابين بالتخمة ولدينا الصحة وعندنا وسائل التسلية ووسائل المعرفة بين أيدينا وعائلتنا معنا، مع ذلك كله الذي واحد منه كان يعتبر ولا يزال يعتبر عند الكثير في حكم الأحلام العميقة، ومع ذلك قد نشعر بالملل والقرف ونعمل لاشعورياً على إحداث تغيير درامي وصادم في حياتنا. طبعاً هذا ونحن في أعين أنفسنا عقلاء نكاد نناطح السماء بفكرنا الثاقب الذي لا يعترض عليه إلا كل جاهل حقود وغافل حسود وتافه منكود.
طبعاً هذا لا يعني أن ما وصفته يرجع فقط لعادة فتح قلوبنا الباطنة والظاهرة لطريقة الأفلام، لكن أرى أنها واحدة من أهم الأسباب، وتوجد أسباب أخرى طبعاً.
هذا الداء فما الدواء؟ أول ما يجب تعاطيه هو جرعة مُركَّزة من العمل فقط بناء على ما هو واقع أمامك الآن. جرب هذا مراراً وتكراراً؛ وراقب خواطرك حين تسبح في السيناريوهات الخيالية. ثاني دواء هو استغلال هذه العقلية الخرافية في كتابة قصص وروايات، بذلك تُحوِّل السم إلى عسل. ثالث دواء، قبل اتخاذ أي قرار خصوصاً المهمات راجع نفسك وانظر في الأسباب الواقعية لا التكهنات المستقبلية والعرافة الساقطة. تغيّر مع المتغيرات، تأكد أن قيمك متحققة ولا تداهن فيها، اهرب من الذين يجعلون حياتهم فيلماً فإنهم سيدخلونك في دوامات لها أول بلا آخر، وكن في الكائن وليس فيما كان وسيكون أو تظن أنه سيكون أو ما لم يكن أن لو كان كيف كان سيكون.

...
إذا أردت أن تدرس سورة
فأحد الطرق الجيدة المجربة هي هذه: لنطبق إن شاء الله الطريقة على سورة الكوثر باختصار.
١-قُم بتعيين الأوامر. في الكوثر هما ١/ فَصلِّ. و٢/ انحر.
٢- ابحث عن معنى الأوامر وأسبابها والهدف منها عن طريق ربطها بالأخبار. في الكوثر بدأ بخبر وهو "إنا أعطيناك الكوثر"، وختم بخبر "إن شانئك هو الأبتر". فاسأل نفسك: ما علاقة الصلاة والنحر بعطاء الكوثر وشانئك هو الأبتر؟ وما فائدة هذا الترتيب في السورة؟
من معاني ذلك:
الله يبدأ بالعطاء ثم يأمر بفعل في حدود ذلك العطاء. لقوله "لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها". الكوثر حقيقة أخروية لها مظهر دنيوي، والمظهر الأكبر للكوثر هو القرءان. فهو أعطاه القرءان الذي هو كوثر لانهائي من العلم والحكم والقوة لقوله "وإن تعدُّوا نعمت الله لا تحصوها" وقوله "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمت ربي". ومن هنا نفهم ربط الصلاة والنحر بإعطاء الكوثر، لأن الصلاة هي الطريقة التي بواسطتها ستنتفع من كوثر القرءان، "فصلِّ لربك" الكوثر صورة عطاء ربك الذي يربيك ويوصلك إلى كمالك المخصوص فيك، فالكوثر شيء إذا أخذته وانتفعت به سوف تعرف ربك لأنه رباك بوسيلته وستشهد كمالات نفسك التي كتبها لك ربك. الصلاة من معانيها الصلة واللزوم والدعاء والتبعية، وهذه الأربعة هي أركان دراسة القرءان والانتفاع به، فأولاً اعلم أنك تتصل بربك حين تأخذ القرءان فهو حبل ممدود طرفه بيد الله وطرفه بيدك، وثانياً عليك بدوام ملازمة القرءان على كل مستويات اللزوم فيكون في قلبك ذكراً وفكراً وفي شعورك وفي خيالك وفي جسمك وفي بيتك وفي كل مكان ومع كل شيء، وثالثاً ادعُ الله أن يفتحه لك ويجعلك تقيمه وتقوم به، ورابعاً اتبع ما فيه من أوامر بالطاعة واتبع ما فيه من أخبار بالتصديق. ثم جاء الأمر الآخر وهو النحر، أي انحر لربك، لكن تنحر ماذا ولماذا؟ تنحر كل ما يقطعك عن الصلاة لربك وبلوغ الكوثر، وكل موضوع له طريقة خاصة لنحره تناسبه. الدين كله بين كلمتين، الصلاة والنحر، الاتصال بالخير ونحر الشر، فلا يمكن أن تقبل كل شيء بل لابد من وجود نحر وتحرر من شيء مادمت في هذا العالَم الذي يمتزج فيه النور والظلمة والخير والشر والعلم والجهل وبقية الأضداد غير القابلة للجمع من جميع الجهات والوجوه. طيب،
الآن أخذت الكوثر بالصلاة لربك وتحررت من العوائق بنحرها، فماذا سيحصل الآن؟
الآن ستتحوّل أنت إلى مظهر للكوثر، ستصبح من أشعة نور القرءان في العالَم بدرجات مختلفة، بالتالي ستصبح فرقاناً، لذلك يقول في الآية الأخيرة "إن شانئك هو الأبتر"، الأبتر هو المقطوع من الله والخير والعلم والنور، وهذا ضد الذي يصلي لربه الموصول به، والشانئ هو المبغض المُظهر للبغض الشديد، يعني من الطبيعي أن يُبغض المحروم من القرءان أهل القرءان ويحسدونهم ويكرهونهم وينفرون منهم كما قال "يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا".

لاحظ "شانئك" الكاف هنا تدل على شخص، يعني ليس شانئ ربك ولا شانئ الكوثر ولا شانئ الصلاة والنحر، لا، "شانئك" أنت، فالإنسان الذي أخذ الكوثر وصلى لربه ونحر لربه سيتحول وجودياً وتكوينياً بحيث يظهر ضده بغض شديد من خلق وبالمقابل حب شديد من خلق آخر كما قال "سيجعل لهم الرحمن وُدًّا".

صاحب القرءان فاروق بين الخلق يظهر به المؤمن من المنافق ونحوه. إذن الصلاة والنحر شيء يسبب تحوّل في الوجود، وليس مجرد عمل ظاهري لا يقدم ولا يؤخر في تكوين الفاعل كالظل والسراب. فالصلاة والنحر عمل مبني على الكوثر، ويؤدي إلى تمييز الموصول من الأبتر.

...

إن أردت الهَذَر، فعُدّ قطرات البحر.

بعد العيش موت، فالموت حاضر في العيش.

السرعة غفلة، الخوف ظلمة، الخيال خبال، الهم عدم.

أنت مخلوق للتنفس، فإذا انقضت أنفاسك انقضى غرضك.

المتغيّر متغيّر، والحركة غير الذاتية ستتوقف.

الممتلكات أثقال، والعلاقات أغلال، والتفسيرات جبال.

الكلام مع السلام صمت، والصمت مع القلق صراخ.

الظل نعيم، والمدن جحيم، وسعيد مَن لم يَعرِف ولم يُعرَف.

الرياح أغاني قدسية، والسماء قُبّة مَلَكية، والشجر خزانة ربانية.

الاعتقادات صُوَر، والصور انفصال، والانفصال صراع، والصراع خسران.

الجماد أعلى فهو يحمل كل شيء ولا يستفيد من شيء.

ما وراء الطبيعة ذهنك، وذهنك في الطبيعة.

أمامي موج لا يسأل عن غاية حركته، وصخر لا يسأل عن غرض سكونه.

الصخرة تصير سوداء إن ضربتها أمواج البحر، والوعي يُظلِم إن أدمن التفكير.

الوعي حر ثابت نظيف، محيط واسع لطيف، والسلام.

...

يقال: يجب أن تكون أنت وشريكك على نفس الصفحة.

أقول: قد تكونا على نفس الصفحة، لكن أحدكما على سطر آخر !

يقال: الحب يحتاج تنازلات.

أقول: نعم، وآخر التنازلات النزول في القبر !

يقال: الوقت يمرّ بسرعة.

أقول: على أي أساس حكمت "بسرعة" ؟

يقال: يجب أن تحترم الرأي الآخر.

أقول: هذا رأيك أنت، فاحترم رأيي الآخر !

يقال؛ مَن جَدَّ وجد.

أقول: لم تصلكم كل أخبار المُجدِّين.. ولا الواجدين !

يقال: توجد مساواة بين الرجل والمرأة.

أقول: صدقت، أنا أعرف الكثير من هذه الحالات !

يقال: لا تُغرِّد خارج السِّرب.
أقول: ولو كانت العصافير تنهق ؟

يقال: مُدّ رجلك على قد لحافك.
أقول: هذه نصيحة مصنوعة لأصحاب اللحف القصيرة.
...
العلوم القديمة
كانت رمزية أكثر من كونها مادية، ورموزها تشير إلى ما وراء الطبيعة وحقائق النفس وإن كانت تستعمل صوراً من الطبيعة والجسم. هذا المفتاح مَن عرفه سيُقدِّر علوم الأوائل حق قدرها وسيبدأ يعرف شيئاً من كيمياء الروح التي جاءت بها النبوات وسيحصل على حجر الفلاسفة الذي يُحوِّل النحاس إلى ذهب.
خلاصة تلك العلوم والرموز في كلمة واحدة : الذِّكر.
بيان ذلك : كل ما يحدث في الطبيعة فانٍ ومتغيِّر وقيمته بالنسبة لنفس الإنسان قيمة متدنية أو وسيلة أو غير مشبعة لجوهر النفس. الشيء الذي يمكن أن يرفع النفس ويشبع جوهرها هو الباقي والثابت. لكن النفس لها وجه للطبيعة بواسطة الجسم وهو الغالب عليها في هذه النشأة. فتسعى النفس إلى شيء يُحوِّل نحاس الطبيعة إلى ذهب ما فوق الطبيعة، نحاس الفاني إلى ذهب الباقي، نحاس المادي إلى ذهب الإلهي. وهذا الشيء هو "الكيمياء" و "حجر الفلاسفة" و "نهر الحياة" وغير ذلك من الرموز التي تدل على تجلي المتعالي على الطبيعة في الطبيعة، والطريق من الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة. فما هو هذا الشيء؟
شرحه باللغة سهل، لكن تذوقه بالحقيقة يحتاج إلى جهاد أكبر وفتح مبين.
باللغة هو : الاسم الإلهي. ذكر الله. لماذا؟
لأن الله هو الحق الباقي المطلق المتعالي. والطريق الوحيد لظهوره في الطبيعة المتغيرة الفانية المقيدة المحصورة هو باسمه وكلامه (وكلامه هو أشعة شمس اسمه وتقلبات اسمه الأعظم في مظاهر الخلق وحوادث الدهر). وحين يذكر العارف الحي اسم الله على شيء فإن تغييراً يحدث في نفس الذاكر من حيث تناوله للشيء ونظرته له وتأثيره فيه، وكذلك يحدث تغيير تكويني للشيء نفسه لكن بنحو غامض وباطن لا يُدركه إلا مَن انفتحت عين قلبه.
من هنا ستفهم لماذا جاء خاتم النبيين بطريقة كلها أذكار في كل موضوع آفاقي وأنفسي.(راجع مثلاً كتاب الأذكار للنووي). من قبل أن تفتح عينك في الصباح إلى بعد أن تغمض عينك بالليل وما بين ذلك، ستجد أذكاراً لكل شيء. الذكر كله فروع لذكر واحد هو "بسم الله "، والمحامد والأدعية كلها فروع لذكر واحد هو "الحمد لله". لكن هذا الأصل له شروحات كثيرة بحسب مقام التفصيل، ومن هنا تتعدد الأذكار فمثلاً عند المصيبة "إنا لله وإنا وإليه راجعون" وهكذا. ما الذي يحدث هنا؟
الشيء أو الحدث الطبيعي لم يعد مجرد حدثاً طبيعياً بل صار عليه اسم الله، وهو اسم غالب للغالب تعالى، بالتالي يغلب نور الاسم على ظلمة الطبيعة فيجعله إلهياً ومتعلقاً بالله، أي تحوّل من جهة فقر وظلمة وعدم وفراغ وفناء إلى جهة الغنى والنور والوجود والامتلاء بالمعنى وسر البقاء بحكم بقاء قيمة العمل إلى الأبد "تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون". خلافاً لمن لم يذكروا اسم الله فإن أعمالهم بطلت وفنيت بفناء الدنيا التي انحصروا فيها "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا". لذلك

قال "كل شيء هالك إلا وجهه"، فما لم يكن من وجهه هلك، ومن دعاء النبي "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات"، وأسماء الله هي أشعة الوجه الإلهي.
الحاصل : مفتاح الكنوز وتفسير الرموز كله في اسم الله تعالى. "واذكر اسم ربك وتبتَّل إليه تبتيلا".

قالت: سؤال شوي بعيد بما انك جبت طاري الذكر.. ماهي كيفية الذكر والاستغفار؟ هل عشان اسبح واحمد فقط اقول سبحان الله وبحمده؟ بدون طريقة حسيه وعمليه للتسبيح.
قلت: الأوامر العملية غير التسبيح والاستغفار جاءت منفصلة في القرءان. فكل مجال منفصل عن الآخر وإن كان بينهما نوع من الاتصال . فلا يجب أن يكون التسبيح هو العمل الوحيد الذي يجب أن نربط به كل شيء ، لا ، لكن التسبيح له طريقة وبقية الأعمال الصالحة لها طريقة وصورة خاصة بها.
...
كانت الأرض في ظلمة
فأشرق عليها نور القرءان في قلوب طاهرة وعته فكان ما كان. البداية المتجددة دائماً تكون بوسيلة كلام الله، وتجديد نفوسنا بروحه يكون بفتح الله لنا خزائن آياته. هذا المعنى لا يكاد يوجد مَن لا يعترف به. لكن السؤال هو: لماذا نملك جميعاً المصاحف لكن لا نجد إلا قلة مهتمة اهتماماً فعلياً بتذوق ودراسة كتاب الله ؟ فكرت في هذا الأمر كثيراً وبحثت أكثر وانتهيت إلى التالي باختصار:
أكبر سبب هو أن المسلمين بمختلف فرقهم وطوائفهم بشكل عام لا يعتقدون ولا يُعلمون أتباعهم أن دراسة كتاب الله هي عمل أساسي للعلم والإيمان والتدين. الكل تقريباً يعتقدون بأن "أركان" الدين هي خمسة أو أربعة أو ستة أو نحو ذلك من اختلافات كمية وكيفية بناء على-ليس كتاب الله- ولكن روايات حتى وإن كان فيها معاني صحيحة لكنها ترسم ديناً وتقيده بنحو غير موجود في كتاب الله بل ويتعارض مع روايات أخرى. والعامل المشترك بين كل هذه الاعتقادات للفرق المختلفة-القديمة والحديثة- هو غياب دراسة كتاب الله دراسة تدبر وتعقل من رؤيتها ومنهجها الديني العام. يتفقون في نقاط ويختلفون في نقاط، لكن كلهم غيَّب تعقل وتعلم كتاب الله عن الأركان. وفي أحسن الأحوال "تفسير" القرءان هو واحد من علوم كثيرة "يتخصص" فيه قلة قليلة يمكن عدها على مسبحة طويلة والسلام. بعبارة واضحة: بدلاً من أن يكون تعلم القرءان وتعقله هو العمل المركزي في دائرة حياة المسلمين، صار في أحسن الأحوال على هامش الدائرة وللتبرك وشيء من التلاوة اللفظية وشيء أقل من التدبر الوعظي السطحي وطرد الجن وفك السحر، هذا هو الحال الغالب والاستثناء نادر جداً. "فدراسة القرءان ليست من أركان الإسلام ولا الإيمان ولا الإحسان !" هكذا يفكرون ولذلك صارت روح القرءان غائبة عن فكرنا وذوقنا وتعاملاتنا اليومية في أكثر الأحيان.
وسبب آخر يتفرع عن الأول هو تقسيم أوامر الله-أيضاً بغير القرءان- إلى أصول وفروع وأركان وفضائل ونحو ذلك. نتج عن هذا مثلاً أننا حين نسمع أمر الله "أقيموا الصلاة" نعتبره جوهرياً لكن إذا سمعنا أمر الله "كلوا واشربوا ولا تسرفوا" لا نأخذه بنفس درجة أخذنا للأول. لماذا؟ لأنه قيل لنا أن ترك الأول مصيبة لكن الثاني...حاول الالتزام به وليس عليك الكثير ان شاء الله إن لم تقم به. من آثار هذا التفريق أننا إذا وجدنا شخصاً مقصراً في الصلاة نعتبره على حدود النفاق أو الكفر، لكن إذا كان أكبر المسرفين في الأكل والشرب لا يطرف لنا جفن ولعلنا نقول له "هنيئاً لك فمَن ليس له كرش ما يسوى قرش".
قرءانياً، الذي أمرنا بالأوامر كلها واحد، ولم يفرق بينها بهذه الطريقة التي تجعلنا نميز بينها تمييزاً يؤدي إلى اللامبالاة ببعضها عملياً. فمن أمر الله "إذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى" فكم مرة سمعت

نفسك أو غيرك يعدل في القول ولو كان ضد نفسه وضد والده وأهله ؟ والأمثلة كثيرة جداً. تجديد روح التدين فينا لن تحصل إلا بكسر كل تلك القوالب الطائفية، وإعادة تعلم كتاب الله من جديد بعين جديدة وحية وحرة وأخذ كل أوامر الله على محمل الجد والمساواة في الأهمية طالما أن الله لم يميز بينها.

قالت: صارت روح القرءان غائبك عن فكرنا وذوقنا وتعملاتنا اليومية " جميلة العبارة لكن كيف أعمق روح القرآن في حياتي ؟

قلت: البداية بدوام ذكر اسم الله في القلب ، حتى يتطهر . ثم أن يكون لك كل يوم وقت لقراءة القرءان بتدبر وتعقل. ثم بالعمل قدر المستطاع بحسب ما أمرنا الله به في كتابه والنظر إلى التغيرات التي تحدث لنا بسبب هذا العمل.

....انتهى والحمد لله رب العالمين.